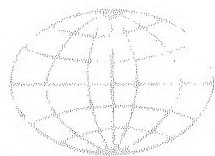


عدالة السماء

اجاتا كريستي



المركز القومي للبحوث



عزلة السماء

القصر العالمية للجميع

عَدَالَةُ السَّارِ

إيجات كريسيتي

General Association of the Arabic Language (GAL)

ترجمة
د. فَارُوق خواتمي

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	٣٩٤٨٤
رقم التسجيل	٣٩٤٨٤

منشورات
المكتبة الحديثة - بيروت
دار الشرف العربي - بيروت

أجاثا كريستي

بقلم أجاثا كريستي

ولدت في مقاطعة ديوننشير بإنجلترا ، وقضيت طفولة سعيدة الى اقصى درجات السعادة ، تكاد تكون خلوا تماما من اعباء الدروس والاستذكار ، فانفسح لي الوقت كي اتجول في حديقة بيتنا الواسعة واسبح مع الحيات ما شاء لي الهوى

والى والدتي يرجع الفضل في اتجاهي الى الكتابة والتأليف ، فقد كانت سيده ذات فطنة ، ساحرة الشخصية ، قوية التأثير ، وكانت تعتقد اعتقادا راسخا ان أطفالها قادرون على كل شيء . ففى ذات يوم - وقد أصبت ببرد شديد الزمنى الفراش - قالت لي :

- خير لك ان تقطعي الوقت بكتابة قصة قصيرة وانت في فراشك - ولكنى لا اعرف . .

- لا تقولى لا اعرف ، فانك « طبعاً » تعرفين . . . حاولى فقط وسترين - وحاولت ، ووجدت متعة فى المحاولة ، فقضيت السنوات القليلة التالية . اكتب قصصا قابضة للصدر ، يموت معظم أبطالها ، كما كتبت مقطوعات من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا يختلطون ويختفون لشدة الزحام ثم خطر لي أن اكتب رواية بوليسية ، ففعلت واشتد بى الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت . . . وكنت حين كتبتها متطوعة فى مستشفى تابع للصليب الاحمر ابان الحرب العالمية الاولى واذا سألتمونى عن ميموى ، فاعلموا انى احب الاكل واكره طعم كل مشروب يدخل فى صناعته الكحول ، واننى حاولت التدخين مرارا فلم اجد ما يفرينى بالمداومة عليه . ولكنى اعبد الازهار ، واهيم بالبحر واحب المسرح ، واكره الافلام النشطة ، ويعجز تفكيرى عن متابعتها ، واكره الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، واكره حياة المدن

وهوايتى السفر ، ولا سيما فى بلدان الشرق الادنى لاننى احب الصحراء جاجا

اهم شخصيات الرواية

هيركيول بوارو « Hercule Poirot » - المخبر السرى الخاص

آمياس كريل « Amyas Crale » - الفنان المتقلب

كارولين كريل « Caroline Crale » - زوجة الرسام المتهمه بالقتل

كارلا لامرشانت « Carla Lemarchant » - ابنة كارولين والرسام كريل

جون دايتري « John Battersy » - خطيب كارلا لامرشانت

فيليب بليك « Philip Blake » - سمسار بالبورصة والصديق الوفى
للرسام كريل

ميرديث بليك « Meredith Blake » - من الاعيان والشقيق الاكبر لفيليب
بليك

الزا جرير « Elsa Greer » - غانية لعوب واسعة الثراء

انجيلا وارين « Angela Warren » - الأخت غير الشقيقة لكارولين كريل

سيسيليا ويليامز « Cecilia Williams » - المربية الخاصة لانجيلا وارين

مفتش البوليس هيل « Superintendent Hale »

الفصل الأول

الحسناء كارلا

نظر هيركيول بوارو فى شىء من الفضول والاعجاب الى الغادة الحسناء التى راحت تقرب من مكتبه

لم يكن فى الرسالة القصيرة التى بعثت بها اليه شىء واضح ، مجرد رجاء بأن يحدد لها موعدا للمقابلة • ولا شىء غير هذا الا التوقيع باسمها : كارلا لامرشات

وها هى ذى تاتى اليه بنفسها فى الموعد المحدد : طويلة، رشيقة، فى أوج الشباب ، فى نحو الثانية والعشرين ، جميلة ، أنيقة ، تنم ثيابها عن موفور نرائها ، وينبىء تالق عينها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة

لقد كان هيركيول بوارو - قبل دخولها - يشعر بدبيب الشيوخوخة أما الآن ، وهى تقبل نحوه ، فانه ينتفض بقوة الحياة

وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا ، كان يشعر بعينها الرماديتين تمعن النظر الى وجهه ، وكأنما تريد الفتاة أن تنفذ الى أعماق أعماقه

وجلست الى المكتب ، وتقبلت لفافة التبغ التى قدمها اليها ، وبعد اشعالها ، راحت تدخن فى هدوء دقيقة أو اثنتين ، وهى لا تزال تمعن النظر اليه فى اهتمام وتفكير

وقال بوارو فى رفق :

- نعم ، ينبغى أولا أن تتأكدى

فقلت فى صوت المفاجأ :

- أوه ، أرجو المَعذرة ، ماذا ؟

- انك تنساءلين فى نفسك : هل أنا حقا الرجل البارع فى كشف
 غوامض الجرائم ، أم مجرد طبل أجوف ؟
 وابتنسنت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقى الرقيق :
 - نعم ، نعم هذا صحيح ، فالواقع انك يا مسيو بوارو لا تبدو
 فى الصورة التى كنت أتخيلها عنك !
 - وعجوز أيضا ؟ اليس كذلك ؟ أكبر سنا مما كنت تتوقعين !
 - نعم اننى ، كما ترى ، صريحة . والواقع انى أريد أن أعهد
 بمهمتى الى خير من يصلح للقيام بها
 - اطمنى من هذه الناحية ، فانى الرجل المنشود
 - يبدو أنك لا تعترف بشيء اسمه التواصل يا مسيو بوارو !
 - اننى أعترف بالحقائق فقط
 - حسنا ، لسوف أعتد عليك رغم المظاهر !
 فقال بوارو بهدوء :

- ان الانسان لا يحتاج دائما الى استعمال عضلاته فى الأبحاث
 الجنائية ، بل اننى أحيانا لا ألجأ الى الانحناء على الارض ، وشم
 التراب ، وقياس الآثار ، واختبار ميل العشب لا تعرف على اتجاه
 السير ، وانما يكفى فى كثير من الأحيان أن أجلس ، وأفكر
 ثم نقر على رأسه الصلعاء المستديرة كالكرة ، وأردف قائلا :
 - هذه هى التى تقوم بكل ما ينبغى القيام به
 - اننى أعرف ، وهذا ما حفزنى للحضور اليك ، فانى أريد أن
 تقوم لى بمهمة عجيبة
 - لقد أثرت فضولى

- ان اسمى ليس « كارلا » وانما كارولين ، على اسم أمى
 لقد سمتنى باسمها ، وأما « لامرشات » فهو ليس اسم أبى ، ان
 أبى هو أمياس كريل

فقطب بوارو جبينه مفكرا ؛ ثم قال :
 - أمياس كريل .. أمياس كريل ، يخيل الى انى أعرف هذا
 الاسم

- انه رسام معروف ، ويؤكد بعض المعجبين به أنه من أكبر

الرسامين الفنانين ، وأنا أعتقد هذا أيضا
— نعم ، نعم أمياس كريل ، ولكنى أحاول أن أتذكره بمناسبة
أخرى

— لقد مات قتيلًا ، واتهمت أمى كارولين بقتله !
— آه تماما ، انى أتذكر الآن ، لقد كنت يومذاك فى الخارج ،
وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال
— ستة عشر عاما !

وأردفت القاتلة قائلة ، بوجه شاحب ، وعينين زاد بريقهما :
— هل تفهم ؟ لقد حوكت أمى ، وصدر الحكم بإدانتها ، ولكنها
لم تشق بسبب وجود ظروف مخففة أحاطت بالحادث ، وهكذا عدل
الحكم الى السجن المؤبد ، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام ، ومن
ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و . . .
— ولكن !؟

وضغطت كارلا يديها بعضهما ببعض ، ثم قالت بصوت متهدج ،
ولكنه مفعم بالعزم :

— أرجو أن تدرك تماما موفى من هذا الامر كله ، كنت عند
وقوع الحادث ، فى الخامسة من عمرى ، أى كنت أصغر من أن أدرك
تماما ما يجرى حولى ، اننى أتذكر أبى وأمى ، طبعًا ، وأتذكر أنى
غادرت البيت فجأة الى الريف ، وأتذكر خراف المزرعة السمان ،
وزوجة المزارع ، وأن الجميع كانوا جد شفيقين بى ، وأتذكر
بوضوح الطريقة العجيبة التى كانوا ينظرون بى الى . وكنت أعرف ،
كطفلة ، أن شيئًا ما قد حدث ، ولكنى لم أكن أعرف طبيعة هذا
الشيء

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت وجيزة :
— ثم أتذكر أنى ركبت باخرة فى البحر ، وكانت الرحلة مثيرة ،
استغرقت بضعة أيام ، وعندما وصلت الى كندا ، استقبلنى العم
سيمون ، وعشت معه ، ومع زوجته العمة لويز ، وكنت كلما
سألتها عن أبى وأمى ، قالا أنهما سيلحقان بى سريعا . وعلى مر
الايام نسيت أمرهما ، بعد أن عرفت ، دون أن يخبرنى أحد ، أنهما
ماتا . وعشت سعيدة فى كندا ، فقد كان العم سيمون والعمة لويز

أنموذج الطبية والشفقة والحب . وذهبت الى المدرسة ، وتعرفت
بصديقات كثيرات ، ونسيت ، تقريباً، كل شيء عن حياتي السابقة ،
وأنا دون الخامسة ، وحتى اسمي ، أصبح كارلا لامرشانت بدلا من
كارولين كريل

ثم نظرت كارلا في وجه بوارو بامعان برهة ، واستنطردت
تقول :

— إنظر الى وجهي . انك ، حين تراني في الطريق ، أو وأنا
أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة ، ستشير الى وتقول : « هذه فتاة
جذمت بين الجمال والمال والشباب ، وليس لها في هذه الدنيا ما
يتقل عليها أو يحز في نفسها ، وهذا هو الواقع الى حد ما ،
فأنا شابة ، جميلة ، وثرية ، وليس في الدنيا فتاة أنسى أن أكون
مثلها ، ولكنني ، مع هذا كله ، بدأت أسأل عن أبي وأمي : من هما ؟
وماذا فعلا ؟ وكيف ماتا ؟ » ولم يكن ثمة مفر من أن أعرف في
النهاية كل شيء

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة ، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:
— ولم يسع العم سيمون والعمة لويز الا أن يخبراني بالحقيقة ،
كل الحقيقة ، لاني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، أصبحت
حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي ، ولانه أصبح
من حقى ، وأنا في هذه السن ، أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي أُمي
وهي على فراش الموت . ومن هذا الخطاب ، علمت الحقيقة الرهيبة :
علمت أنها اتهمت بقتل أبي ، وقدمت للمحاكمة ، وصدر عليها الحكم
بالسجن المؤبد ، ويا لها من مفاجأة قاسية

وتوقفت برهة أخرى ، ثم عادت تقول :

— وهناك شيء آخر ينبغي أن أصارحك به ، فأنا أتبادل الحب مع
شاب أعتبره مثلي الأعلى في الحياة ، ورغم أن الجميع لا يعترضون على
زواجنا ، فقد طلبوا منى ارجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين
من عمري ، وقد عرفت الآن لماذا !

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف :

— وهل عرف خطيبك الحقيقة ؟

— نعم ، طبعاً ، أخبرته بها كلها

— وما رأيہ ؟ ماذا كان رد الفعل فى نفسه ؟

— قال : « ان الحب الحقيقى الذى يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضى ، وانما المهم هو المستقبل »

ثم مالت الى الامام وأردفت تقول :

— اننا لازلنا مخطوبين ، ولكننى أفكر ، بل أنوى ، أن أفسخ الخطبة ، اذا لم أتأكد من براءة أمى نعم ، لا تعجب يا مسيو بوارو ، لسوف أخبرك لماذا أوصى ببراءة أمى ، والمهم الآن أن أؤكد لك اننى لا أستطيع أن أتزوج ، وأنجب أطفالا ، وأعيش طول عمرى فى خزع ، حتى لا يعرف أطفالى حقيقة مأساة جديهما لأنهما ١٠٠ اننى لا أستطيع أن أحتمل أن يشار اليهم على أنهم أحفاد السيدة النى قتلت زوجها

فقال بوارو :

— ألا تعرفين أنه لا يوجد الانسان الذى يستطيع أن يزعم أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا فى حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل ؟

— انك لا تدرك ما يدور بنفسى ، خفا انه لا يوجد مثل هذا الانسان ، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين واثبات كما أعرفها أنا عن أبوى ، وكما سيعرفها أولادى عن جديهما . وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسى ، من أننى رأيت جون ، خطيبى ، يختلس النظر الى ، بعد أن عرف هذه الحقيقة ، فى شيء من الحيرة والتوجس ، فكيف اذا تزوجنا ، ثم حدث بيننا هذا الخصام الذى يحدث عادة بين الأزواج ، ثم أرسل الى هذه النظرة الزاحرة بالحيرة والتوجس . أقول كيف يكون موقفى اذا رأيته ينظر الى ، وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلت أمى أبى ؟

— كيف قتل أبوك ؟

— بالسّم

— آه ، انك على حق

— شكرا لله أنك أدركت حقيقة مشاعرى . لقد أدركت أن هذا الأمر يهمنى ، ويؤثر فى مستقبلى ، ومن ثم لا تحاول أن تواسبنى بعبارات جوفاء ، أو أن تقنعنى بأن هذه مسألة عفى عليها الزمن

- اننى فى الواقع مدرك تماما حرج مركزك يا مس لامرئيات
ولكننى لا اعرف على وجه التحديد ماذا تريد منى
- اريد أن أتزوج جون ، وأنوى أن أتزوج ، وأن أنجب منه
على الاقل ولدين وبنتين، والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا...
فابتسم بوارو وقال :
- اننى تحت أمرك ، ولكن كيف السبيل ؟
- اسمع يا مسيو بوارو ، اننى اريد أن أكلفك باعادة البحث
والتحرى لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبى ، ولسوف أدفع لك كل
ما تريد من مال
ولكن...
- اننى اعرف أن جريمة القتل ، هى جريمة القتل ، سواء وقعت
اليوم ، أو منذ عشرين عاما
- ولكن يا آنستى العزيزة ، اريد أن...
- أوه ، انتظر برهة يا مسيو بوارو ، فان فى المسألة نقطة
هامة ، ينبغي أن تعرفها
- وما هى ؟
- هى أن أمى بريئة
- لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها ، برغم كل...
- لا لا ، ليس للعاطفة دخل فى هذا الشعور ببراءة أمى يا مسيو
بوارو ، وانما هو خطابها هذا ، لقد تركته لى قبل وفاتها، واستلمته
حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، وهى لم تكتبه الا لفرص
واحد وهو اقناعى تماما ببراءتها . ولقد أقسمت لى فيه ، وهى
على فراش الموت ، أنها بريئة ، واننى يجب أن أؤمن ببراءتها
فقرأ بوارو الخطاب ثم نظر فى شئ من التفكير ، ثم قال :
- هكذا كلهم يقولون ذلك
- لا ، لا ، ليست أمى من النوع الذى يكذب ليربح ضمير
الغير . ان الاطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد أنهم
يتذكرونها ، ومن بين ذكرياتى القليلة عن أمى ، أنها من النوع الذى
لا يكذب أبدا ، كان الصدق طبيعة فيها ، ومن ثم فانى أتذكر
انى كنت شديدة الثقة بها وأنا طعنه ، ولا زلت حتى الآن أشعر



« لا ، لا ، ليس للماطة دخل في هذا الشعور ببرادة امي يامسيويوارو،
وانما هو خطاياها هذا ، لقد تركته لي قبل ولادتها . . . »

بهذه الثقة النى لا حد لها ، ومن ثم اذا قالت انها لم تفعل أبى ، فهى لم تقنله مطلقا ، انها ليست من النوع الذى يقسم كذبا وهو على فراش الموت ، مهما يكن السبب

وأوماً بوارو برأسه فى بطء ، بينما استطردت كلارا تقول :
 - اننى أستطيع أن أتزوج بجون وأنا مطمئنة الى براءة أمى ،
 ولكن هو ، ما شعوره ؟ كيف أقنعه ببراءتها ، كيف أجعله لا ينظر الى فى خوف ، اذا اختلفت معه لائى سبب بعد الزواج ؟ اننى أريد أن أثبت له بالدليل الحاسم أنها بريئة ، وأنه ليس هناك ما يدعوه الى أن ينظر الى هذه النظرة الخائفة فى مستقبل الايام
 - لنفرض أن أمك بريئة حقا ، كيف يمكن اثبات براءتها ، بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما ؟
 - أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير ، وأعرف أيضا انه لن يكون فى وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة
 فابتسم بوارو وقال :
 - انك تنفخين فى بقوة ا

- لقد سمعت منك ، وسمعت عن الاعمال الباهرة التى قمت بها ، وكيف قمت بها ، سمعت أنك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس فى مكتبك بعد أن نوضع أمامك كل الملابس المحيطة بها ، أى دون أن تحتاج الى فحص أعقاب السجائر ، أو قياس آثار الاقدام ، أو شم تراب الارض . ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا فى بيت أبى أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة
 - حسنا يا آنسة ، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الاحياء، وأعيد البحث والتحرى ، وأرجو أن أصل الى الحقيقة
 فلما نهضت وهى تشكره ، قاطعها قائلا :
 - اننى سأبحث عن الحقيقة أيا كانت يا مس لامرئيات هل تفهمين ؟

- نعم ، اننى أريد الحقيقة الخالصة ، فاذا ثبت لى ، يقينا ، أن أمى هى القاتلة ...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

- يجب أن أدفع ثمن الجريمة ، وأعتزل الحياة فى دير لا أدعو لها بالرحمة والغفران

الفصل الثاني

مفتش البوليس

قال مفتش البوليس ، هيل ، وهو ينفث دخان بييته :

— هذا عجيب يا مسيو بوارو ، كيف يمكنك أن تعاود البحث والتحرى لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ؟

— اننى أعرف أنه أمر غير مألوف . ولكن ...

— ولكن ، لماذا كل هذا العناء ؟

— من أجل البحث عن الحقيقة ، ومن أجل كلارا ومسئولها . ان حياتها الآن بين يدي ، فاما أن أبيع لها الفرصة لان تتزوج وتنعم بالحياة كما ينبغي ، واما أن تعتزل هذه الحياة فى دير

فهذه مفتش البوليس كتفيه وقال :

— انك رجل نابغ يا مسيو بوارو ، فما ضرك لو انك اخترعت لها قصة قائمة على سلسلة من التحريات الوهمية لاقتاعها ، أعنى ، لاثبات براءة أمها

— انك لا تعرف كلارا

— لا لا ، مهما تكن قوة شخصيتها ، وحدة ذكائها ، فانها لن تستطيع أن تقف أمام رجل موفور التجارب مثلك

فرفع بوارو رأسه فى تحد وقال :

— أبا كان الأمر يا مستر هيل ، فانى لم أعود أن أبالغ فى الكذب الى هذا الحد ، لاسيما اذا كان فى الأمر مكافأة ضخمة تبلغ خمسة آلاف جنيه لاثبات الحقيقة ، الحقيقة الخالصة

— اننى أسف يا مسيو بوارو ، لم أكن أقصد جرح مشاعرك ، اننى فقط مشفق على هذه الفتاة الحسناء البريئة التى وهبتها

الطبيعه كل شيء ، وتوشك هي أن تحرم نفسها من كل شيء . انها
مأساة

— الآباء ياكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

— هذا صحيح . ولكن ، آية حقيفة نريد اثباتها ، بعد أن ثبتت
فعلا منذ ستة عشر عاما ، وصدر الحكم ، ولولا الظروف ' ' حقة ،
لماتت كارولين كريل على حبل المشد
فقال بوارو بهدوء .

— ان حدينك هذا يا مستر هبل له أكبر الاثر في نفسى . فأنا
عرف أنك ، طول حياتك ، رجل مستقيم شريف جاد ، وأرجو أن
تخبرني بصراحة : ألم بخامرك الشك ، أدنى الشك في ادانة
سنز كريل ؟

فأسرع المفتش يعول :

— مطلقا يا مسيو بوارو ، ان جميع الأدلة . والعرائن ، والاثباتات ،
وشهادات الشهود . كانت تشير اليها

— هل يمكن أن نخبرني بالأدلة التي توافرت على ادانتها ؟

— مؤكد . فمذ أن بلغت رسالتك بخصوص هذا الامر ، وأنا
أراجع سجل الجريمة ، وأضع العلامات والاشارات تحت الحقائق
الواضحة

— شكرا جزيلا يا صديقى ، انى أشد ما أكون شوقا الى سماع
هذه الحقائق

فتسبح المفتش هبل ، ثم قال فى لهجة جادة :

— فى تمام الساعة الثانية وخمسي وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم
الثامن عشر من شهر سبتمبر ، اتصل الدكتور فوسيت تليفونيا
بالمفتش كونوى ، وأخبره أن المدمو اميلاس كريل مات فى قصره
بالدربرى ، وان الظروف المحيطة بالوفاة ، كما ذكرها المستر فيليب
بليك صديق الموفى ، وأحد ضيوفه ، تحتم وضع الامر بين أيدي
رجال البوليس ، ومن تم سحب المفتش كونوى السرجنت
رودى وطبيب الصحة ، وأسرعوا الى الدربرى ، وهناك مضى بهم
الدكتور فوسيت فورا الى جثة المتوفى التى لم يحركها احد من
مرضعها ، وكان المستر كريل ، قبيل وفاته ، يرسم فى حديقة

صغيرة مغلقة تابعة لقصره ، تسمى حديقة البحر ، لانها تطل من مرتفع ، على البحر ، وتقع على مسيرة أربع دقائق من القصر ، ولم يكن المستر كريل قد ذهب الى القصر ليشارك في تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوئه ، لانه اراد ان يرسم بعض الظلال والاضواء على لوحه في تلك الساعة من النهار قبل ان تميل الشمس نحو الغيب . ومن ثم بقي بمفرده ، في حديقة البحر ، يرسم . ولم يكن في هذا ما يدعو الى العجب ، لان المستر كريل لم يكن يهتم بمواعيد طعامه اذا تعارضت مع انهماكه في الرسم . وكان يكتفى في مثل هذه الحالات ببعض السطائر ، ترسل اليه . ولكنه ، كان يفضل ، عادة ، ان يبقى وحيدا لا يزعجه احد . وكان آخر من رآه حيا هما مس الزا جرير « ضيفه بالمنزل » والمستر ميرديث بليك « جار وصديق » وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر وذهب الى القصر ، حيث اشتركا مع بقية الضيوف في تناول طعام الغداء . وبعد الطعام ، قدمت للجميع القهوة في الشرفة الكبيرة ، وفرغت مسز كريل من شرب قهوها ، وقالت انها ستهبط الى حديقة البحر لترى ماذا يفعل كريل ، زوجها ، ونهضت المس سيسيليا ويليامز - المربية - معها وصحبتهما في الطريق الى حديقة البحر قائلة انها ستبحث عن الصديقية للصوف الخاصة بتلميذتها انجيلا وارين ، الاخت غير الشقيقة لمسز كريل ، وكانت المربية تعتقد ان انجيلا تركت صديقتها على شاطئ البحر

وسارت الاثنتان معا في الطريق الضيق المتعرج الذي تحف به الاشجار ، حتى وصلت الى الباب المفضى الى حديقة البحر . ويمكنك عندئذ ان تدخل الى الحديقة ، او ان تستمر في الطريق الضيق حتى تصل الى التسلط . ودخلت مسز كريل الحديقة ، واستمرت مس ويليامز في سيرها ، ولكنها لم تلبث ان عادت مسرعة حين سمعت صراخ مسز كريل ، ولما دخلت الحديقة بدورها رأت المستر كريل متهاكاً على المقعد الخشبي الطويل ميتاً !

والحت عليها مسز كريل ان تسرع بالعودة الى القصر والاتصال تليفونيا بطبيب ، وفيما كانت مس ويليامز في طريقها الى القصر ، التقت بالمستر ميرديث ، فعهدت اليه بالقيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم اسرعت عائدة الى المسز كريل ، وهى تشعر انها احوج ما تكون

الى وجود احد بجانبها في هذا الظرف ، وحضر الدكتور فوسيب بعد ربع ساعة ، وادرك ، من اول نظرة ، ان كريل مات منذ فترة غير وجيزة . وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد الظهر . ولم يكن هناك ما ينم عن سبب الوفاة . لا اصابة ، ولا جراح ، ولا آثار اختناق ، ورغم هذا ، فقد اشتبه الدكتور فوسيب في سبب الوفاة لانه يعرف ان كريل كان يتمتع بصحة جيدة ، ولم يكن يشكو من اى مرض او ضعف . ولهذا قرر ان يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة ، وعندئذ ادلى المستر فيليب بليك الى الدكتور ببعض البيانات التى جعلته يضع الامر بين ايدى رجال البوليس

وتوقف المفتش هيل برهة ، وتنفس بعمق ، ثم عاد يقرأ ، وكأنه يبدأ الفصل الثانى ، فقال :

— وبطبيعة الحال أعاد المستر فيليب بليك أقواله على مسامع المفتش كونوى ، فقال ، اى فيليب بليك ، انه تلقى في الصباح مكالمة تليفونية من أخيه ميرديث بليك ، صاحب ضيعة هاندكروس ، الواقعة على مسافة ميل ونصف ميل من قصر كريل ، وكان المستر ميرديث كيمانيا هاويا ، أو على الاصح ، أحد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية « هيربالست » . وعندما دخل المستر ميرديث بليك في هذا الصباح الى معمله الخاص ، لاحظ ، لدهشته ، ان الزجاجاة المحتوية على مادة الكونين « المخدر السام » ، ناقصة جدا ، بينما كانت ممتلئة تماما في اليوم السابق . ولما أزعجته هذه الحقيقة ، اتصل تليفونيا بأخيه فيليب بليك ، الذى كان ضيفا على كريل في قصره وأخبره بهذا الامر ، والتمس منه النصيحة فيما ينبغى ان يفعل . وطلب فيليب من أخيه ان يحضر فوراً الى قصر الدربرى ليتباحث معه في هذا الامر . وقد سار هو — فيليب — ليلتقى بأخيه في الممر المؤدى الى القصر ، ثم عاد معه الى القصر وهما يتحدثان في هذا الامر دون ان ينتهيا الى نتيجة ، فتركاه ليستأنفا الحديث فيه بعد طعام الغداء

» اما الحقائق التى وصل اليها المفتش كونوى ، بعد التحريات والابحاث اللازمة فهى : بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة ، سار خمسة اشخاص من قصر الدربرى لزيارة المستر ميرديث في منزله

بضيعة هاندكروس ، وهؤلاء الخمسة هم : مستر ومستر كريل ، انجيلا وارين ، مس الزا جرير ، مستر فيليب بليك . وفي خلال الفترة التي قضوها هناك ، اتقى عليهم المستر ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر الكونين من أعشاب طيبة خاصة ، وعن قوة مفعوله ، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم أنه ثبت طبييا أن الجرعات القليلة جدا منه ، تشفى من السعال الديكي والربو . وأخيرا قرأ لهم فصلا مؤثرا عن موت سقراط بعد أن وضع في كأسه قطرات من هذا المخدر السام بالذات « ومرة أخرى توقف المفتش هيل عن القراءة ، ثم راح يحسبوه غليونه قبل أن يبدأ في قراءة الفصل الثالث من المأساة :

— ووضع الكلونيل فرير ، مدير البوليس ، هذه القضية بين يدي وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين . وذلك رغم أن هذا العقار لا يكاد يترك أثرا يدل عليه في جسم الضحية ، ولكن الاطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الاثر في جسم القتيل . وقد قرر هؤلاء الاطباء أن المخدر السام دس للمجنى عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث ، وكان امام المستر كريل ، على منضدة صغيرة ، كأس وزجاجة بيرة فارغتين . وثبت من تحليل البقايا الموجودة بهما أنه لا يوجد أثر للكونين في زجاجة البيرة ، ولكن الاثر موجود في الكأس الفارغة . وقد علمت من تحرياتي أنه برغم وجود زجاجات بيرة وكؤوس في خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب المستر كريل اذا أحس بالظما ، برغم هذا ، فقد ثبت أن المسز كريل في ضحى هذا اليوم بالذات حملت زجاجة بيرة من ثلاجة القصر وذهبت بها الى زوجها ، حيث كان منهما في رسم لوحة لمس الزا جرير ، التي كانت جالسة على سور الحديقة ، في وضع خاص للرسم

وفتحت مسز كريل الزجاجة ، وملأت منها الكأس ، ووضعت الكأس في يد زوجها وهو واقف امام لوحة الرسم . وقد شرب هو — كعادته — الكأس في جرعة واحدة ، ثم بدأ الامتنعاض على وجهه وهو يعيد الكأس الى المنضدة ، ويقول : « كل شيء في فمي اليوم مر » . وعندئذ ضحكك المس الزا جرير ، وقالت له : « لا بد أن الكبد عندك متمب » واجاب هو عليها بقوله : « على كل حال هذه البيرة مثلجة »

وتوقف هيل عن الحديث ، فقال له بوارو :

— كم كانت الساعة عندما حدث هذا ؟

— في نحو الحادية عشرة والربع

واستطرد المفتش هيل في حديثه عن الجريمة قائلا :

— وظل المستر كريل منهمكا في عمله ، وقد ذكرت المس الزا جريز انه بعد فترة وجيزة من شرب البيرة ، بدأ يشكو من تصلب اطرافه ويقول انه لايد موشك على المرض باروماتزم ، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعثر بهم ، ولهذا السبب ، ظل متحاملا على نفسه ، ثم طلب من الزا وميرديث في ضيق أن يدعاه بمفرده ويذهبا لتناول طعام الغداء . وهكذا ترك بمفرده . وليس من شك في أنه ، بعد ذهابهما ، تهالك ليستريح ، ولا شك أيضا أن الشلل العضلي قد سرى في جسده عندئذ كما قرر الأطباء . وهكذا لم يستطع أن يستجد بأحد ، وكانت النتيجة انه مات أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء . وصمت المفتش هيل كأنما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة ، ثم عاد يقول :

— والآن لنستعرض الحقائق التالية ، التي اثبتتها التحريات الدقيقة : في اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين مس الزا جريز ومسز كريل ، وذلك عندما اعلنت مس الزا ، بجرأة ، انها قررت الزواج من المسز كريل ، وأنه اتفق معها على هذا ، وردت عليها مسز كريل قائلة ان هذا لن يحدث ، وأن مس الزا واهمة فيما تزعم ، وعندئذ أقبل مسز كريل الى الغرفة ، فالتفتت اليه زوجته وقالت له :

— هل قررت ، حقا ، يا امياس أن تتزوج بالزا ؟

وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه بوارو ، مما جعله يقول للمفتش هيل :

— هه . وبماذا أجب كريل على هذا السؤال ؟

— يبدو انه استدار الى مس الزا وهتف بها غاضبا : « ماذا تقصدين بحق الشيطان من الانضاء بهذا السر ؟ الا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام » . وعندئذ قالت مسز كريل لزوجها :

« اذن فقد اتفقتما على الزواج فعلا ؟ » فأشاح زوجها بوجهه وغغم .
 بكلمات غامضة ، فعادت زوجته تقول له : « لماذا لاتجيب اليس
 من حقى ان أعرف ؟ » فهز كتفيه وقال لها : « نعم هذه هى
 الحقيقة ، ولكنى غير مستعد للمناقشة الآن » ثم غادر الغرفة مسرعا ،
 بينما قالت مس الزا جرير لمسز كريل انها تريد منها مواجهة
 الحقيقة بشجاعة ، وأنها شخصا ، ترجو أن تظل ، أى مسز كريل ،
 صديقة لزوجها بعد طلاقها منه

وقال بوارو :

— وماذا قالت مسز كريل عندئذ ؟

— قال، الشهود انها ضحكت وقالت : « انك لن تتزوجى بامياس
 الا بعد وفاتى » ثم توجهت الى باب الغرفة ، ولكن مس الزا هتفت
 بها : « ماذا تعنين يا مسز كريل » فنظرت اليها مسز كريل قائلة :
 « أعنى انى سأقتل امياس قبل أن أتركه لك »

وتوقف المفتش هيل عن الحديث ، وقال بوارو :

— اعتراف خطر ، من سمع هذه العبارات ؟

— كان بالغرفة مع مس الزا ومسز كريل ، المستر فيليب بليك ،
 ومس ويليامز المربية ، ولا شك أن الموقف بالنسبة لهما كان بالغ
 الحرج

— وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الاخر فى هذا
 الموضوع ؟

— نعم .. بقدر ما يمكن أن يتفق شاهدان رأيا أو سمعا شيئا
 واحدا فى وقت واحد ، فان كلا منهما يصف ما رأى أو سمع
 بطريقة الخاصة

واستطرد المفتش هيل فى حديثه عن المأساة فقال :

— وأمرت باجراء تفتيش دقيق فى أنحاء القصر ، وقد عثرنا فى
 غرفة نوم مسز كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب
 القديمة فى أسفل درج خزانة الملابس ، وكانت زجاجة فارغة من
 زجاجات عطر الياسمين ، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد
 غير بصمات مسز كريل ، أما تحليل البقايا الموجودة بها فقد
 أثبت ان بها آثارا بسيطة لعطر الياسمين ، وأثارا واضحة قو

لمحلول هيدروبرومييد الكونين . . وحدثت مسز كريل واطلعتها على الزجاجة ، فاجابت فوراً انها كانت في حالة معنوية سيئة ، وانها قررت ، بعد سماعها محاضرة المستر ميرديث عن مفعول الكونين السام ان تأخذ كمية منه ، ففأملت الموجودين وتسلمت الى معمله ، وافرغت عطر الياسمين من زجاجة حقيبة يدها ، وملأتها من عطار الكونين ، ولما سألتها لماذا فعلت هذا قالت : « اننى لا أريد أن أطيل الحديث في موضوع شخصى ، ولكن يكفى القول انى تلقيت صدمة قاسية ، وذلك عندما صارحنى زوجى بأنه سيهجرنى ليتزوج من فتاة أخرى ، فاذاً صح هذا ، فلن أستطيع الحياة بدونه ، ولهذا أخذت الكونين »

وقال بوارو عندئذ :

— هذه اجابة مقنعة الى حد ما

— نعم . . ولكن هذا لا يتفق مع قولها لا لزرا جرير انها تفضل ان تقتل كريل على ان تعطيه لها ، ثم هناك المشادة الاخرى التى حدثت فى صباح يوم الوفاة وسمع فيليب بليك طرفاً منها . . وكذلك مس الزا جرير سمعت طرفاً آخر من نفس هذه المشادة التى حدثت فى غرفة المكتبة بالقصر بين مستر دمسر كريل . وكانت الزا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة ، وسمعت الشيء الكثير من هذه المشادة

— وماذا سمعت هى وفيليب بليك !!

— سمع المستر فيليب مسز كريل تقول لزوجها فى غضب : « هكذا انت دائماً مع نساءك . لشد ما أتمنى أن أقتلك ، حتماً سيأتى اليوم الذى أقتلك فيه »

— ألم يسمع شيئاً عن عزمها على الانتحار ؟

— لا . مطلقاً . لم يسمع مثلاً أية عبارة كهذه « اذا فعلت هذا فسوف أقتل نفسى » ، أما الزا جرير فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين :

قال كريل : « كونى عاقلة رزينة ياكاردولين . اننى اميل اليك وأحب لك الخير دائماً ، انت والطفلة طبعاً ولكننى سأأتزوج الزا . . وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حراً فى تصرفاته » فقالت

كارولين : « حسنا . لا رعم اننى لم احضرك » ، فقال كريل :
« ماذا تعنين ؟ » . . . فقالت كارولين : « اعنى اننى احبك ، ولن
أسمح لاحد أن ينزعك منى . اننى افضل أن افنك على أن ادع
هذه الفتاة تظفر بك »

وصمت المغنثس هيل بعد أن فرغ من ترديد هذا الحوار على مسامع
بوارو الذى قال :

— يبدو لى أن الزا جريز كانت حمقاء فى تحديها لمسز كريل ،
فقد كان فى وسع هذه الاخيرة أن ترفض الطلاق من زوجها كريل
نهائيا

فقال المغنثس هيل :

— لدينا بعض الادلة الخاصة عن هذا الموضوع . فان مسز
كريل افضت بالامها ، كما يبدو ، للمستمر ميرديث بليك ، وهو
صديق قديم للأسرة . ويبدو ايضا أنه شعر من أجلها بأشد
الحن ، واستطاع أن يتحدث مع كريل فى الموضوع على انفراد ،
واعتقد أن هذه المحادثة دارت فى اليوم السابق على المأساة ، وقد
ذكر ميرديث لصديقه أنه سبكون حزينا أبلغ الحزن لو حدث
الطلاق بين مستمر ومسز كريل ، وكذلك انصار الى فارق السن
بين الزا التى لم تكن تجاوزت العشرين ، وبين كريل الذى بلغ
الاربعين ، وأنه لا يلقى جرجرة فتاة صغيرة كهذه فى قضية طلاق ،
وقد رد كريل على هذا بضحكة خفيفة ، تنم عن استهتاره التام
بالعلاقات الزوجية ، ثم قال : « ان الزا لن تظهر فى المحكمة عند
نظر قضية الطلاق ، وأنا قد اتفقنا على طريقة ننهى بها الموضوع
بغير ضجة »

وعندئذ قال بوارو :

— مادام الامر كذلك ، فلماذا انشب الزا السر وتحدثت مسز كريل
فى بيتها ؟ لاشك أنها حماقة بالغة الشأن

فقال المغنثس هيل :

— ان الرجل لا يعرف حقيقة ما يدور بذهن المرأة والمهم أن
الموقف كان شديد الحرج للجميع فى القصر ، ولست أدري كيف
سمح كريل بنشوء مثل هذا الموقف بين المراتين ؟ ان المستر ميرديث

بليك بفسر هذا بقوله ان كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التى يرسمها لى الزا جرير فهل هذا معقول ؟

— نعم يا صديقى ، ان هذا معقول جدا

— ولكنه ، فى رأى ، غير معقول ، لقد كان يسعى بنفسه الى خلق المشكلات

— من المحتمل جدا انه كان يشعر بالاستياء الشديد من الزا جرير لانها افشت السر قبل الوقت المتفق عليه

— نعم .. كان مستاء منها . هكذا شهد ميرديث بليك .
ولكن اذا كان مهتما بالفراغ من الصورة فلماذا لم يستعن ببعض صورها الشمسية فى اتمام الصورة فلا يضطر الى ابقائها مع زوجته فى القصر . اننى اعرف رساما شابا ينقل صورا بالالوان المائية ، من صور مناظر طبيعية شمسية
فقال بوارو باسم :

— ان كريل لم يكن ليلجا الى مثل هذه الطريقة البدائية فى الرسم
لقد كان ، كما فهمت ، رساما كبيرا ، فنانا نابغة ، وليس من المستبعد ان يكون فنه اهم لديه من كل شيء . ولاشك ان الفراغ من رسم الفتاة كان اهم لديه من التعجيل بزواجها ولعل هذا هو السبب الذى من أجله كان يريد ان يفرغ من رسم اللوحة قبل ان تضطرب الاحوال بين الفتاة وزوجته . اما الفتاة ، فانها لم تدرك هذه الحقيقة . فالحب ، عند المرأة ، يأتى دائما فى المقام الاول

فقال المفتش هيل :

— كلنا يعرف هذه الحقيقة

— ولكن الرجال يختلفون ، لاسيما الفنانون منهم ، فان للفن اعباءه

فقال المفتش فى احتقار :

— الفن ؟ ماهذا الحديث عن الفن ؟ اننى لا افهمه ، وما اظن اننى سأفهمه يوما ، ولناخذ مثلا هذه الصورة التى رسمها كريل للفتاة . انها صورة غريبة عجيبة كأنما الفتاة كانت تشكو من وجع اسنانها وهى جالسة أمامه . اما السياج الحجرى الذى كانت جالسة

عليه ، فقد بدا غريبا أيضا . اننى حتى الآن ، وبعد ستة عشر عاما لازلت اذكر نفورى من هذه الصورة فابتسم بوارو وقال :

— انك تقرظ هذه الصورة اعظم تقرظ دون ان تدري — لا لا ، انا لا اقصد هذا . لماذا لا يحاول الرسام ان يرسم كل شيء طبق الاصل كما هو ؟ لماذا يتعب نفسه لى يجعل الصورة تبدو غريبة عجيبة ؟

— ان بعضنا ياصديقى يرى الجمال فى كل عجب غريب — ايا كان الامر ، فان مس الزا جرير هذه كانت فى تلك الايام جميلة فاتنة ، ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها . وبهذه المناسبة اذكر انها تزوجت مرتين : الاولى من رحالة مغامر لا اذكر اسمه ، والثانية من زوجها الحالى اللورد ديتشام . وهى معروفة فى الاوساط الراقية الآن باسم اللىدى ديتشام — حسنا جدا . هل افهم من هذا ان الشاهدين الاساسيين اللذين كانا ضد مسز كريل هما فيليب بليك ومس الزا جرير ، اليس كذلك ؟

— نعم كانا ضد مسز كريل على طول الخط . وقد شهدت أيضا المريبة مس ويليامز ، ورغم انها كانت شديدة العطف على مسز كريل ، فان شهادتها أساءت الى موقف المتهم الى حد كبير . ذلك لانها سيدة صادقة لا تقول غير الحق ، ولا تحاول المراوغة من الاجابة ولو كانت هذه الاجابة ضد اقرب الناس اليها — وميرديث بليك ؟

— كان يعرب فى شهادته عن حزنه والله ، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام فى معمله ، وقد لامه المحقق . وكان على الجملة انموذجا للرجل المحافظ ، الذى يكره هذا اللون من المحاكمات المشيرة — وهل شهدت الاخت الصفرى لمسز كريل ، اعنى انجيلا وارين ؟

— لا ، لم يكن هناك مايدعو الى سماع اقوالها ، فانها لم تسمع اختها وهى تهدد زوجها بالموت ، ولم يكن لديها من الاقوال اكثر مما سمعناه من شهود الحادث ، فقد رأت مسز كريل وهى تأخذ الزجاجة ، زجاجة البيرة ، من الثلاجة ، وكان فى مقدور الدفاع ان

يركز جهده في هذه الناحية ويثبت أن مسز كريل لم تعبت بمحتويات الزجاجة . ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا ، لأن ممثل الاتهام لم يدع أن السم كان في الزجاجة

— إذن كيف استطاعت مسز كريل أن تضع السم في كأس زوجها أمامه ، وأمام مس الزا ومستر ميرديث ؟

— أولا كان كريل منهما في الرسم ، وكانت الزا جريير جالسة بعيدا في وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا الى مسز كريل . أما مسز ميرديث فكان في مكان بعيد عن الجميع فغمغم بوارو قائلا :

— يبدو أن لديك الاجابة المقتنة عن كل سؤال — أن الامر جد واضح يامسيو بوارو ، فقد ثبت باعترافها وشهادة الشهود أولا : انها هدت زوجها بالموت ، ثانيا : انها سرقت المادة السامة من معمل مستر ميرديث ، ثالثا : وجدت الزجاجة الفارغة التي كانت تحتوى على المادة السامة في غرفة نومها ، وليس عليها غير بصمات أصابعها . رابعا : انها هي التي حملت زجاجة البيرة الى زوجها ، وقدمت اليه الكأس ، آخر كأس شربها زوجها قبل وفاته ، وقد قال في امتعاض ان كل شيء يبدو في فمه نرا هذا اليوم ، والعجيب في هذا الامر انها تهتم بحمل الشراب الملجح اليه رغم الخصومة التي كانت بينهما — ان هذا في الواقع شيء بشير التساؤل والدهشة !

— نعم ؟ لماذا أصبحت فجأة لطيفة معه ، مهتمة بامرته ؟ لكى تحقق غرضها طبعاً . وقد رتب الامر لكى تكتشف الجثة بنفسها ، ومن ثم ارسلت مس ويليامز لاسندعاء الطبيب وذلك لكى تزيل عن الكأس والزجاجة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتل على الزجاجة فقال بوارو في دهشة :

— تصفط بأصابع القتل على زجاجة البيرة ؟

— نعم . . ولكن خدعتها انكسفت بسهولة ، وقد جعلها ممثل الاتهام أضحوكة الجميع في المحكمة حين بين للقضاة أن وضع بصمات القتل بدل بوضوح على انه مفتعل ، وانه لا يمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة في هذا الوضع الا اذا كانت مقلوبة ، وكانت هي ترجو أن بوهما أن زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضمير . ولكن ثبت للجميع ، من شهادة الشهود ، وظروف حياة القتل ، انه آخر من يفكر مجرد تفكير في الانتحار

ولما أوما بوارو برأسه ، استطرد المفتش يقول :

— انها لم تحاول أن تفكر لحظة واحدة تفكيرا سليما . كان الحقد والغيرة قد اكلا قلبها واضلا عقلها . اكانت تريد أن تقضى عليه . فلما نجحت في هذا ورأته أمامها جثة هامدة ، بدأت تدرك هول الجناية التي ارتكبتها ، والمصير المنتظر لها ، فشرعت تبحث عن منقذ للنجاة ، فلم تجد أمامها غير نظرية الانتحار — معقول جدا

— هل اقتنعت الآن يا مسيو بوارو بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الاولى ؟

— تقريبا . . . ولكن لا تزال هناك نقطة او اثنتان في حاجة الى مزيد من الايضاح

— اننى على استعداد لأن أرد على أى سؤال

— ماذا كان يفعل المقيمون في القصر أو بقية الضيوف في ذلك الصباح ؟

— لقد تحرينا عن تصرفات كل واحد منهم . . ولكنى ابادر فأقول انه في حالة وقوع جريمة قتل بالسم لا يمكن أن يكون أى انسان قريب من مسرح الجريمة ، فوق الشبهات تماما ، لا سيما اذا كان السم من النوع البطيء المفعول . اعنى ان في مقدور أى قاتل أن يعطى كمية من السم في برشامة للمجنى عليه فائلا له انها دواء لعسر الهضم — مثلا — يؤخذ بعد الاكل ، ثم يسافر الى آخر الدنيا بالطائرة ، ويموت المجنى عليه دون أن يعرف أحد الحقيقة

— ولكنك لا تعتقد أن هذا ما حدث ؟

— لا لا لا . . لم يكن المستر كريل يعاني عسر الهضم . ولا اعتقد أن أحدا أعطاه السم في برشامة . . حقا لقد نصح له مستر ميرديث بتعاطي « بلايب » خاصة لتقوية الجسم من صنع يديه ، ولكن كريل لم يعمل بهذه النصيحة ، ولو أنه عمل بها لجعل من هذا الدواء مادة للضحك والتندر . . ثم انه ليس هناك ما يدعو ميرديث الى قتل كريل . . فقد كانت العلاقة بينهما أطيب ما تكون مودة وتقديرا متبادلا . . وكذلك كان الحب يربط بين مس الزا وكريل . . فليس هناك ما يدعوها لقتله ، وايضا ليس هناك أى باعث لأن يقتل فليب

ليك اعز اصدقائه ، واعنى به كريل ، ولكننا لا ننكر ان
لم تكن على علاقة طيبة بكريل، اذ كانت تعرب دائما
سلوكه مع النساء ، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية
نفورها هذا ما كان ليصل الى حد ارتكابها جريمة قتل
وكذلك كانت مس انجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج
ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة
وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل اليه ويادها
الميل ، والمعروف ان هذه الفتاة كانت تعامل في القصر مع
زاخرة بالحب والعطف والتدليل ، وذلك لانها اصبحت
اختها مسز كريل ، وهى طفلة صغيرة ، باصابة شوهر
وافقدت احدى عينيها النظر . . ولهذا كانت مسز كريل
تعوضها عما اصابها بالاسراف في الحب والتدليل وتلبية
وعندئذ قال بوارو :

— ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة في الشعور
اختها كارولين التى كانت السبب في تشويه وجهها !

— ربما . . ولكن هل يمكن ان يدفعها هذا الحقد، ان كان
ان قتل امياس كريل ؟ انه احتمال بعيد جدا ، وايا كان
مسز كريل قد تولت بنفسها رعاية اختها هذه غير الش
رفاة والديها ، واسبغت عليها من الحب والعطف الشىء
وقد شهد الجميع ان انجيلا كانت تحب اختها اشد الحب، و
مسز كريل على ان تظل الفتاة بعيدا عن اجراءات المحاكمة
ولكن انجيلا كانت شديدة القلق والحزن والحت في رؤية
بعد صدور الحكم ، ولكن مسز كريل رفضت بشدة ان
قائلة : « ان منظرها وهى بملابس السجن سوف يترك في نفد
الصغيرة اثرا عميقا قد يدمر حياتها » ومن ثم أرسلت بها الى
داخلية خارج البلاد

واردف المفتش هيل ، بعد برهة صمت وجيزة ، قائلا :
— لقد اصبحت مس وارين الآن ، اى بعد ستة عشر
شخصية مشهورة بعد ان قامت برحلات كثيرة الى مناطق
وبعد ان التت المحاضرات في الجمعية الجغرافية الملكية ،
جعلت لنفسها اسما لامعا في الكتابة للصحف والمجلات

- ولم يعد أحد يذكر المحاكمة ؟
- ولماذا يذكرونها ؟ ان مس وارين لا تحمل اسم والد كارولين ، فقد كانتا اخنتين غير شقيقتين ، من ام واحدة وأبوين مختلفين ..
- ان اسم والد كارولين ، هو سبالدنج ..
- هل كانت مس ويليامز المربية والمدرسة الخاصة لطفلة مستر ومسز كريل أما لمس وارين ؟
- كانت المربية والمدرسة الخاصة لمس وارين
- واين كانت ابنة كريل عند وقوع المأساة ؟
- كانت مع مربيتها الخاصة في زيارة لجدها الليدى تريسيان وكانت سيدة ارملة فقدت ابنتها ، واصبحت شديدة التعلق بحفيدها الصغيرة
- ولما اوما بوارو براسه ، استطرد المغنثس هيل يقول :
- أما من تصرفات الموجودين في القصر يوم المأساة ، فيمكننى أن أقدم لك تقريراً كاملاً دقيقاً . فمس الزا جرير كانت — بعد طعام الافطار — جالسة في الشرفة الواسعة ، تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة ، وهناك — كما سبق القول — سمعت المشاجرة التى وقعت بين كريل وزوجته ، وبعد ذلك صحبت كريل الى حديقة البحر حيث جلست امامه على السور الحجرى في الوضع المطلوب للرسم . وظل كريل يعمل في الصورة حتى موعد الغداء دون أن يستريح الا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته .. أما فيليب بليك فكان — بعد الافطار — في القصر ، وقد سمع أيضا طرفا من المشاجرة التى وقعت بين الزوجين ، وبعد انصراف كريل والزا جرير الى حديقة البحر ، جلس في الشرفة يقرأ صحيفة الصباح الى أن اتصل به اخوه ميرديث تليفونيا وأبلغه نبأ اختفاء كيم من سم الكونين ، ومن ثم ذهب ليقابل أخاه عند شاطئ البحر ، ثم سار معه في طريق العودة الى القصر ، في الممر الصاعد المتعرج ، وقد مرا في طريقهما بجانب سور حديقة البحر ، وكانت مس الزا جرير قد تركت مكانها ، وذهبت الى القصر لتحضّر سترة من الصوف تضعها على كتفها أثناء جلوسها امام الرسام ، وقد سمع الشقيقتان ، وهما يمران بجوار سور الحديقة ، حديثا يجرى بين مستر كريل وزوجته وكان

يبدو من طبيعة الحديث أنهما يتناقشان في موضوع ترحيل انجيلا وارين الى المدرسة

وعندئذ قاطعه يوارو قائلا :

— آه ... اذن كانت محادثة هادئة ؟

— لا .. لم تكن هادئة بأية حال ، فقد كان كريل يصيح في حديثه . ويبدو انه كان ممتعضا لان زوجته قطعت عليه عمله في اللوحة بشئونها المنزلية الخاصة

واوما يوارو براسه ، بينما استطرد المغنث هيل قائلا :

— وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع كريل .. ثم حضرت مس الزا جريز بالسترة الصوفية ، وجلست في الوضع المناسب للرسم ؛ وعندئذ تناول كريل فرشاته واسانف عمله مقطب الجبين ، وادرك الشقيقان انه ليس لهما مجال في حديقة البحر ، فغادراها الى القصر . وبهذه المناسبة اذكر ان كريل شكا من سخونة البيرة الموجودة في حديقة البحر اثناء وجود الشقيقين ومسز كريل معه ، وقد وعدته مسز كريل بأن تأتي اليه بزجاجة مثلجة من التلاجة الموجودة بالقصر

— هكذا ؟

— نعم .. هكذا .. كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الاعمى هذا هو رأيي الخاص ، وعلى كل حال ، فقد جلس الشقيقان في شرفة القصر حيث احضرت لهما انجيلا وارين زجاجات البيرة المثلوجة مع الاقتراح ، وبعد أن شربا كفايتهما ، ذهبت انجيلا مع فيليب بليك للسباحة ، ومضى ميرديث الى مكان مكشوف يشرف على حديقة البحر ، فجلس فيه ، وكان يستطيع من مكانه هذا ان يرى الزا جريز وهي جالسة على السور الحجري ، وان يسمع حديثها مع كريل .. وقد ظل جالسا في موضعه ذاك يفكر في كمية الكونين المسروقة من معمله ، وكان شديد القلق لهذا السبب ، ولا يدري ماذا ينبغي أن يفعل ، ورائته الزا جريز من مكانها ، ولوحت يديها . ولما دق الجرس معلنا عن موعد الغداء ، هبط من مكانه الى حديقة البحر وغادرها مع الزا جريز الى القصر ، وهو يذكر بهذه المناسبة : انه رأى كريل في حالة غريبة .. ولكنه لم يهتم بالامر ، لانه كان يعرف ان كريل من النوع الذي يكره الاعتراف بأي مرض . كما

كان يعرف انه متقلب المزاج .. فهو احيانا يبدو شديد الابتهاج اذا كان العمل في اللوحة التي بين يديه يسير كما يريد ويرجو : والا ، فهو مكتئب ، متجهم الوجه ناري النظرات ، وفي مثل هذه الحالات لا يسع الانسان الا أن يعتمد عنه . اما عن بقية الموجودين ، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح بأعمالهم داخل القصر ، وكانت مس ويليامز قد أمضت فترة طويلة من الصباح في شرفة الجلوس ، وأمضت انجيلا وارين معظم فترة الصباح منجولة في الحديقة الواسعة ، أو متسلقة الأشجار ، أو أى شيء من هذا القبيل ولما عادت لم تلبث أن صحبت مستر فيليب للسباحة في البحر وتوقف المفتش هيل اخيرا عن الحديث ، ثم قال فجأة :

— والآن .. هل تجد في تصرفات أحد من الموجودين في القصر ما يثير الاشتباه أو الشك ؟!

— لا .. مطلقا

— حسنا .. هل لديك أى شك الآن في اذانة مسز كريل ؟

— اننى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكنى سأحاول أن أزداد اقتناعا

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

— سأزور الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع مستر ومسرز كريل يوم المأساة ، وسأحاول أن أظفر بأقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة

فتنهذ المفتش في عمق وقال :

— وهل تعتقد أن أقوالهم ستتفق بعضها مع بعض بمسد كل هذه السنوات .. وهلا تعرف هذه الحقيقة البديهية ، وهى أن اقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم

— ولكن الحقائق الاساسية تبقى ثابتة في اقوالهم المختلفة

— أخشى أن تحصل في النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم يختلف بعضها عن بعض

— ان هذا هو ما اعتمد عليه في الوصول الى الحقيقة . . فان
اصطدام هذه الاقوال هو الذى سيطلق الشرارة التى تضىء امامى
السبيل

وقبل ان ينصرف بوارو ، قال المفتش كأنما تذكر شيئاً :
— وبهذه المناسبة نسيت ان اخبرك أننا عرفنا أيضاً الوسيلة التى
نقلت بها كارولين السم من الزجاجاة الى كأس زوجها
— وما هى ؟!

— خزان قلم حبر ، عثرنا عليه فى الممر المتعرج محطماً ، بعد ان
داست فوقه عشرات الاقدام !



الفصل الثالث

العدو العاشق

وبدا بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك
وكان فيليب قد أصبح فى خلال هذه السنوات الست عشرة، رجل
أعمال ناجح ، وسمسارا كبيرا فى بورصة الاورق المالية . وكان فى
مظهره قصير القامة ، يميل الى البدانة ، مكتنز الوجه ، مكر النظرات .
وقد حرص بوارو على أن يخفى عنه الحقيقة الكامنة وراء زيارته، وانما
ذكر له أنه منتدب من شركة كبيرة للنشر ، لجمع الحقائق - الخاصة -
عن الجرائم الكبرى التى اهتز لها الرأى العام خلال العشرين سنة
الماضية ، وذلك لنشرها فى مجلد خاص
وقطب فيليب جبينه فى دهشة وقال :
- يا للسما ٠٠ لماذا يعمد الناشرون الى نبش الماضى ، واعادته الى
أذهان الناس ؟
فهز بوارو كتفيه وقال :
- هذه هى طبيعة القراء ٠٠ انهم يحبون هذه الالوان من القراءات
المثيرة
- غيلان !
- ولكنها الطبيعة الانسانية ، فانت وأنا يا مستر بليك أعرفه
الناس - بحكم تجاربنا - بطبائع البشر ، وقد سمعت أنك من أبرع
الناس فى سرد مثل هذا القصص
وضحك فيليب وقال :
- هل بلغتك هذه الحقيقة عنى ؟
- بلا شك ٠٠ بلا شك

- ونراخي فلبب مي مقعده . ثم قال فجأة :
- انك لست كاتباً فصصيا ، اليس كذلك ؟
- فقال بوارو في نواصع مصطنع :
- لا ٠٠٠ بل مجرد مخبر بوليس خاص
- أوه ٠٠ انتي أعرف أنك هيركيول بوارو الشهير
- يسرني أنني معروف لك ، ولعل هذا ييسر مهمتي لديك
- انني شخصيا لا أجد أي مانع في الحديث عن ذكريات الماضي ٠٠
- فماذا نريد أن نعرف !
- أرجو أن تحدثني بكل ماتعرف عن مأساة الرسام امياس كريل ،
- فكلنا نعلم أنه كان من أعز أصدقائك
- فصمت فيليب برهة ثم قال :
- لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأي العام منذ وقوعها ، واعتقد
- أن أحداً منها والظروف المحيطة بها ، معروفة للجميع ، ولا سيما في
- سجلات البوليس
- ولكنني أرجو أن أعرف رأيك الخاص في هذه المأساة ، وتأثيرها
- في نفسك
- آه ٠٠ تتحدث عن تأثيرها في نفسي ؟ لقد كان تأثيرها قاسيا
- رهيبا ٠٠ يكفي أن تعلم أنه كان في مقدوري أن أنقذ صديقي كريل
- من الموت لو أنني تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرني أخي ميرديث
- عن اختفاء كمية من سم الكونين من معمله
- هل كان هذا في مقدورك حقا أم أنك تبالغ في الشعور بوخز
- الضمير ؟
- اسمع ٠٠ انني أفترض أنك تعرف الحقائق الاساسية عن هذه
- المأساة بعد أن قرأت ماكتب عنها في حينها
- ولما أوما بوارو برأسه ، أردف فيليب بليك قائلا :
- حسنا ٠٠ عندما أخبرني أخي ميرديث باختفاء كمية من سم
- الكونين من معمله ، كان في حالة نفسية بالغة السوء ، ومع ذلك ، فلم
- أتصرف بالسرعة الواجبة ٠٠ وانما أرجأت مناقشة هذا الامر الى ما بعد
- الظهر ٠٠ ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة ، أعني اننا

اكتشفنا وموعها بعد أن فرغنا من طعام العشاء . ولو أبى أحسنت التفكير والتصرف في ذلك الصباح . لا أدركت فوراً أن كارولين هي السارقة لكمبه سم الكونين ، ولعملت على تحدير الزا وكريل . . . نعم كان يسغى أن أذهب فوراً اليهما وأخبرهما أن كارولين تنوى بهما سراً لبكونا على حذر . . .

ونفض بليك وراح يدرع الغرفة جيئة ودهاباً في افعال ، ثم اسطررد يقول :

— يا اله السموت . . . أنظن يا رجل اننى لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء نصرمى . لقد كنت أعلم ، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن كارولين هي التي احتلست كمبه السم . وكانت الفرصة أمامى سانحة لانقاذ صديقى من الموت . ولكننى أهملت ونهاوت . لماذا لم أدرك منذ اللحظة الاولى أن كارولين ، في نورة غضبها وانفعالها بسبب معاملته زوجها لها ، سوف تنتهر أول فرصة للفضاء عليه بعد أن حصلت على السم ! لماذا نهاوت ؟ هذا هو الذى يؤلنى ويقض مضجعى

فقال بوارو مواسياً :

— أعتقد يا مسنر فيليب أنك تسند في تأنيب نفسك أكثر مما ينبغي ، فلا شك أن الاحداث لم تترك الوقت الكافى . . .

— الوقت الكافى ؟ لقد كان لدى ما يكفى من الوقت، وكانت جميع الفرص واضحة أمامى لانفاده . . . كان فى وسعى ان اذهب الى أمياس' لا حذره . . . نعم كان من الممكن أن يصحك ويسحر من تحذيرى . فما كان أمياس بالرجل الذى يسهل افناعه بأنه معرض لأى خطر نعم كان يمكن أن يسخر منى . انه لم يستطع يوماً أن يفهم حقيقة زوجته . لم يكن يدرك مبلغ ما كانت عليه من شر وعنف وقسوة حسنا . ولكن كان فى وسعى أن أذهب اليها هي . . . الى كارولين ، وأن أقول لها : « اننى أعرف ماذا ننوون أن تفعل ، اننى أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخى ، فإدا مات أمياس مسماً بالكونين ، فنفى بأنك سنموين على جبل المشنقة » نعم ، ان كلمات كهذه كانت كفيلاً بوقفها عند حدها . . . وكذلك كان فى مقدورى أن أتصل برجال البوليس ، نعم ، كانت أمامى وسائل كثيرة

لأنقاذ صديقى ، ولكننى ، بدلا من اتخاذها ، تركت مبرديث يؤثر فى نفسى بحديثه الهادى ، وطريقته البطيثة اذ قال : « يجب أولا يا فيليب أن تعرف وتؤكد من هو الذى اختلس الكونين قبيل أن نلقى بالتهمة جزافا » نعم ، هكذا هو مبرديث دائما ، بطيء التفكير بطيء الحركة ، متردد ، حمداً لله أنه الأخ الأكبر الذى ورث الضيعة والقصر ، والامات جوعا ، فانه آخر من يصلح للنجاح فى الحياة وقال بوارو بهدوء :

— اذن لم يكن لديك أدنى شك فى سارقة السم ؟
— لا ، لم يكن لدى أدنى شك ، لقد عرفت فوراً أنها كارولين ، نعم ، فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها
— هذا شيء مثير للفضول يامستر بليك ، أى نوع من النساء كانت هى ؟

فقال فيليب بليك فى حدة :
— انها ليست المسكينة المجروحة فى كبرياتها كما ظننا الناس أثناء المحاكمة
— اذن ماذا هى فى الحقيقة ؟
فجلس فيليب مرة أخرى وقال فى لهجة جادة :
— هل تريد حقاً أن تعرف كل شيء عنها ؟
— جدا

— كانت كارولين امرأة سوء . لم أر فى حياتى امرأة أسوأ منها ، نعم ، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال ، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التى تخدع الناس فى حقيقة أمرها ، نعم ، كانت لها هذه النظرة الناعمة ، المستسلمة ، الوداعة ، التى تثير فى قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية . لقد قرأت فى كتب التاريخ عن الملكة ماري ، ملكة الاسكتلنديين، انها كانت جذابة ، جميلة ، سيئة الحظ ، ولكنها ، فى الواقع ذكية ، مدبرة ، ماهرة ، عرفت كيف تضع الحطة للقضاء على الامير دارنلى دون أن تثير حولها الشبهات . وهكذا كانت كارولين ، جذابة ، جميلة ، تبدو وادعة ، ولكن لها فى الواقع نفسية القاتل ، وطباع الوحش وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

... اننى لا أدري هل علمت بهذه الحقيقة أم لا . فانها لم تكن ذات اهمه كبيرة أثناء المحاكمة ، ولكنها ، فى رأى ، ذات دلالة أكيدة على خفية أخلاق هذه المرأة . واعنى بهذه الحقيقة ما فعلته بأختها الصغرى انجيلا وارين . انها الغيرة العمياء ، لقد تزوجت أم كارولين مرة أخرى ، وأنجبت من زوجها الجديد انجيلا ، وكان طبيعيا أن تركز الام معظم عواطفها وحنانها فى الطفلة الصغيرة ، ولكن كارولين لم تحتمل هذا . ملأت الغيرة قلبها من أخنها الطفلة ، فحاولت أن نقلها بمضيق من الحديد . ضربتها على رأسها ، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة واسما شوهت جانب وجهها وأقدت إحدى عينيها النظر . فهل هناك أبشع من هذا ؟

... لا ، مطلقا

... حسنا . هذه هى كارولين ، انها تريد دائما أن تكون الاولى . وان الشيء الوحيد الذى لم تكن تطيقه أو تفهمه ، هو أن تتخلف عن غيرها . كان فى أعماق نفسها شيطان « مريد » الويل لمن يثيره وبعد فترة من الصمت ، استطرد فيليب يقول :

... قد يبدو لك أنها ، بسبب هذا الحادث مع أختها ، امرأة متهورة ، مندفعه ، ولكنها فى الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر ، فبعد وفاة والديها ، جاءت للإقامة - وهى فتاة فى سن الزواج - فى قصر آلدربرى مع ال كريل الذين يمنون اليها بصلات من القرابة البعيدة . وفى أثناء هذه الفترة التى أمضتها معهم قبل الزواج ، راحت تعجم أعوادنا جميعا ، نحن شباب المنطقة . ولم تفكر هى فى مجرد الزواج منى لأننى كنت يومذاك فقيرا بعد أن آلت التروة الى أخى ميرديث . وكانت هى أيضا فقيرة ، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقرى وفقرها . ومن العجيب ، أو الطريف ، اننى الآن أوسع الجميع ، بجميع زملائى وأقاربى ، ثراء ، حسنا ، وفكرت فى الزواج من ميرديث ، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل ، فقد كان المعروف أن أمياس هو الوارث الوحيد لقصر آلدربرى والضيعة المحيطة به . وقد أدركت بذلك انها أنه فنان موهوب ، وأن المال سيجرى بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ . وقد صدق حدسها ، وذاعت شهرة أمياس ، وجرى المال بين يديه ، وأصبح من أكبر الرسامين

فى عصره . هل رأيت لوحاته ؟ ان لدى واحد منها . تعال وأنا
أخرجك عليها
ثم تقدمه الى قاعة المائدة ، حيث أشار الى لوحة كبيرة معلقة على
الجدار الايسر ، وقال :
- هذه بريشة أمياس

ونظر بوارو فى صمت ودهشة . كانت اللوحة تصور اناء من
الازهار فوق متضدة من خشب الجوز اللامع . وكانت الازهار تبدو
متوهجة بالحياة والنضارة ، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز
كلما أمعن الانسان النظر اليه . وتنهى بوارو وقال :
- نعم . ان لمسة العبقرية واضحة فى هذه اللوحة

وعاد فيليب بليك الى الشرفة التى كانا جالسين فيها ، حيث
غمغم قائلاً :

- اننى لا أفهم شيئاً من الفن ، ولكنى أشعر ان رسوم كريل
تمتاز بنىء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا ينساها أبداً
ثم اردف قائلاً بعد أن قدم الى ضيفه لفافة تبغ :

- هذا هو العبقرى الفنان الذى قتلته زوجته ، وهو فى
أوج الحياة والمجد والشهرة . ولعلك تعتقد اننى متحامل على
كارولين . ربما ، ولكنى أؤكد لك ان هذه المرأة ، برغم جمالها
وجاذبيتها ، كانت الشر بعينه . كانت تجمع بين القسوة والطمع
والميل الغريزى الى الشر

- ولكننى سمعت يا مستر فيليب انها تحملت الشيء الكثير
من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية

- نعم ، كانت جسد حريصة على ان تجعل كل الناس يعتقدون
انها الضحية البريئة لخيانة زوجها . ولكن الحقيقة هى ان حياة
كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات
والمنازعات ، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم الى فنه . كان
يعيش فيه ومن أجله . كان يتجاهل كارولين وشغفها ومضايقاتها
عندما ينهمك فى رسم لوحة جديدة . ويخيل الى انها كانت تستمد
السعادة من مشاجراتها مع زوجها ، فهى فى كل مشاجرة كانت تطلق
لسانها بالعبارات القاسية العنيفة ، وكأنما تريد ان تفرغ فيه كل

ما نزر به نفسها من سوء وفساد ، فاذا انتهت المشاجرة ، رأيتها سعيدة مبتهجة ناعمة البال . ولكن هذا كله كان يشغل على كريل . فقبل كان ، كفنان ، يحب الهدوء ، والحياة الراضية . اعتقد انه اخطا بالزواج . فان رجلا مثله كان ينبغي ان يعيش حرا من القيود الزوجية . هل كان يفضي اليك بمتابعه ؟

— كان يعرف اننى صديق وفى مخلص منذ الصبا . ولكنه لم يكن يشكو ، وانما ينفجر أحيانا بمثل هذه العبارة « اللعنة على جميع النساء » ، أو « حذار ان تتزوج يا صديقى ، فان الزواج هو جحيم هذه الدنيا »

— هل كنت تعرف علاقته بمس الزا جرير ؟

— نعم ، أخبرنى ذات يوم انه تعرف بفتاة مدهشة ، تختلف عن كل اللاتي تعرف بهن من قبل ، وقد سخرت فى نفسى من حديثه هذا ، فقد كان يقول عن كل فتاة أو امرأة يتعرف بها انها مدهشة وتختلف عن الجميع ، ثم لا يلبث أن يضيق بها ، ويهرب منها . ولكنى حين رأيت الزا جرير فى قصر آلدربرى ، أدركت أن الامر ، فى هذه المرة جد خطير ، فقد كان الواضح للجميع ان المسكين غارق فى حبها الى أذنيه ، وأن هذه اللعينة عرفت كيف تأسره

— كانك لم تكن راضيا عن الزا أيضا ؟

— لا . لم أشعر بأى ميل نحوها . فقد كانت هى أيضا تريد أن تستحوذ عليه تماما ، أن تضعه فى « القفص » ، أن تسيطر على جسمه وروحه معا ، ولكنى ، مع هذا ، كنت اعتقد انها ستكون — كزوجة — أفضل من كارولين . على أنى فى الواقع ، كنت أفضل لو أن كريل عاش بعيدا عن شباك النساء

— ولكن يبدو انه كان مفتونا بهن

— نعم ، كان الاحتمال لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية ، حتى يقع فى أخرى ، ولكن يبدو أن المراتين اللتين كان لهما أكبر الاثر فى حياته ، هما كارولين والزا جرير .

— وهل كان محبا لاخت زوجته ، انجيلا ؟

— اعتقد هذا ، فقد كانت الفتاة دائما لطيفة مرححة ، ولكنها أحيانا كانت تتمادى فى عبثها معه ، فيشتد عليها ، وعندئذ تتدخل

كارولين وتقف في صف اختها ضده ، وكان هذا الموقف من كارولين يزيد من غضبه على انجيلا ، بل ومن غيرته أيضا ، كان يعتقد أن زوجته تفضل اختها عليه ، وتوليها من الحب أكثر مما توليه ، وكانت انجيلا في الوقت نفسه تغار من اميلاس وتحاول أن تغفر دونه بقلب اختها . وقد قرر هو أن تذهب الى مدرسة داخلية في ذلك الخريف ، وأصر على تنفيذ قراره ، وثارت هي بشدة على هذا القرار : لا لأنها تكره الذهاب الى المدرسة ، وإنما للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها اميلاس هذا القرار . والواقع أنه ، من هذه الناحية ، كان على حق ، فقد تعودت انجيلا كلما غضبت منه أن تتماذى في معابثته، وفي ذات مرة وضعت في سريره عشر خنافس ، نعم ، لقد كان الاوان قد آن فعلا للاحاقها باحدى المدارس الثانوية

— وهل كان يجب ابنته الطفلة كارلا أشد الحب !

— اعتقد هذا .. كان يجبها ويدلها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب ، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بالزا ، اذا كان هذا هو قصدك من السؤال ، انه ، في رأيي ، لم يكن يجب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحي بسعادته الخاصة من أجلها

— وهل كانت كارولين متفانية في حب ابنتها كارلا ؟

— لا أستطيع أن أقول انها لم تكن أما مثالية ، نعم ، لا أستطيع أن أزعم هذا . ولعل أشد ما ألمني في هذه المأساة هو موقف هذه الابنة المسكينة التي فقدت أمها وأباها في وقت واحد ، وفي مثل هذه الظروف ، لقد أرسلوا بها الى ابنة عم أبيها في كندا . وأنا أرجو أن يكونوا هناك قد أخفوا عنها هذه المأساة

فهز بوارو رأسه وقال :

— مثل هذه المآسى ، يا مستر بليك ، لا يمكن أن تظل خافية الى الأبد

— من يلدرى ؟

— حسنا يا مستر بليك . اننى سألتبس منك شيئا أرجو أن تحققه .. اننى أرجو أن تكتب لى كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذه المأساة

- ولكننى يا مسيو بوارو لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة ،
بعد كل هذه السنوات
- اعتقد أنك حين تبدأ فى الكتابة ، ستجد نفسك قد تذكرت كل
شئ تقريباً
- عجباً !
- هذه هى إحدى عجائب الذاكرة ، فأنك حين تثيرها ، تفتح لك
أبواب خزانها وتطلق منها من الذكريات ما سوف تدهش له
- ولكن ، لماذا ؟ أليست سجلات البوليس الخاصة بهذه المأساة
تحت أمرك !
- نعم ، ولكننى أرجو أن أعرف بعض الحقائق الخاصة التى سوف
تورد فى كتابتك عن الحادث، وأنا واثق أنه كانت هناك عبارات وتفاصيل
وأشياء كثيرة لم يرد لها ذكر فى تحريات البوليس أو أثناء المحاكمة .
على أساس أنها ليست بذات أهمية ، ولكنها ، فى الواقع ، قد تكون
بالغة الأهمية
- ولكننى رجل كثير الشواغل و ...
- أنتى مستعد يامستر بليك أن ... ان أدفع الأجر المطلوب
- لا ... لا ، اننى اذا قررت الكتابة ، فسوف أكتب ذكرياتى
عن المأساة بدون مقابل ، بشرط ألا تنشر شيئاً من أقوالى بغير إذن
منى
- اتعهد لك بهذا ، واقدم لك جزيل الشكر



الفصل الرابع

الحبيب الهادي

حرص هيركيول بوارو على أن يتزود بخطاب توصية من صديقه الليدي ماري ليتون الى المستر ميرديث بليك ، عندما ذهب لزيارته في ضيعته هاندكروس وقد استقبله ميرديث في أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب . ولكنه ماكاد يطلع على خطاب الليدي ماري، حتى استرد رباطة جأشه ، وراح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدي ماري ، وعن الصيد والقنص في الريف ، وعن هواية سباق الارانب والكلاب . وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة ، وتحفظه في الحديث ، انموذجا لامين الاقاليم المحافظين

ولما حدثه بوارو عن رغبة « دار النشر » في الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الاشخاص الاحياء الذين شهدوا مأساة الرسام امياس كريل ، قال ميرديث في عنف وهو يحشو غليونه :

— اليس من الوحشية الادمية نبش مثل هذه المآسي التي عفى عليها الزمن ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

— اننى اتفق معك في هذا ، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الاحداث الحقيقية الواقعية

— اننى مصر على أن هذا امر شائن

فقال بوارو في صوت رقيق :

— نعم ، ولكننا ، في هذا الكتاب ، سنحاول بقدر الامكان أن نبين للقراء الظروف التي احاطت بالحادث وأدت اليه ، وأن كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الامر وتمتد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الراى العام تحو أمها

— اوه ، كارلا ... كارلا الصغيرة . لا شك إنها قد أصبحت الآن شابة

— نعم ، فان السنين تمر بسرعة غريبة أحيانا

فتنهد ميرديث وقال :

— بأسرع مما يظن الانسان

— واهم من هذا كله ان كارلا تريد أيضا ان تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين كانوا موجودين عند وقوعها ، وذلك لأنها غير مطمئنة الى تحريات البوليس وأقوال بعض الشهود . انها تريد ان تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا أقرب الناس اليهما عند وقوع المأساة

— نعم ، نعم ، لا شك ان هذه المسكينة فجعت حين علمت اخيرا بمأساة أبويها . ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلمت على تفاصيل المأساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من اية عاطفة

وعندئذ أسرع بوارو قائلا :

— هذا تماما ما تريده كارلا ، وما نريده نحن . العواطف والمشاعر والانفعالات والتاثيرات التي كانت تتفاعل في جو المأساة قبيل وقوعها

وصمت بوارو فجأة ، وبدأ ميرديث يتحدث في اهتمام ، وقد أخذت الذكريات تتراحم في ذهنه :

— لقد كان امياس صديقا لنا منذ الطفولة . . وكانت أسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتي منذ أجيال عديدة ، ولكن . لا يسمع الانسان الا ان يعترف بأن تصرفاته كانت . . . مخجلة ، مثيرة ولعل هذا يرجع الى مزاجه الفنى ، فانه يقال أن للفنانين أهواء ونزعات خاصة ، غير طبيعية . . ولكن لكل شيء حدودا . وما أظن أن هناك انسانا يحترم نفسه يرضى أن يأتى بعشيقته الى بيت الزوجية ، ويواجه بها زوجته ، بل ويتحداها هكذا علنا أمام الاصدقاء والجيران

— يسرنى ان اسمع منك هذا يا مستر بليك ، فالواقع انه لا يوجد انسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع ، أو يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والمشيقة

وتردد ميرديث برهة . ثم اذا وجهه يشرق بابتسامة غامضة وهو يقول :

- نعم ، نعم . ولكن المهم في الموضوع هو أن أمياس لم يكن انسانا عاديا أو طبيعيا ، وانما كان رساما ... فنانا ، وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الاول . اذكر انه كان أحيانا يفضل الاستغراق في العمل في احدى اللوحات عن أية متعة أخرى من متع الحياة . وأنا شخصا لا أزعج أنى أفهم شيئا عن مثل هذه الشئون الفنية . ولكننى أستطيع القول ان أمياس كان فنانا موهوبا حقا . هذه حقيقة يعترف بها الجميع الآن . واعتقد ان الدليل على اصالة موهبته أنه لم يكن يهتم بأى شيء في الحياة عندما يكون مشغولا بالعمل في احدى اللوحات ، لم يكن يسمح لأى شيء ، أيا كان ، ان يقف بينه وبين اتمام اللوحة التى بين يديه . كان ، أثناء استغراقه في رسم لوحة جديدة ، كرجل يعيش في حلم ، في عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا . حتى اذا فرغ منها او كاد ، بدأ يلتقط خيوط الحياة العادية مرة أخرى

ونظر ميرديث فى تساؤل الى بوارو الذى هز رأسه موافقا ، وعندئذ استطرد يقول :

- أرى أنك تدرك ما أعنى . حسنا ، لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته ، ولا سيما هذا التصرف الذى جعله يجمع بين حبيبته وزوجته فى مكان واحد . لقد كان يحب الزا جرير حقا ، وكان على استعداد لان يطلق زوجته ، ويحرم نفسه من ابنته ، ليتزوج بها . ولكنه كان قد بدأ يرسمها هنا ، وهى جالسة على سور حديقة البحر ، وقد أراد أن يفرغ من رسم هذه اللوحة . ومن ثم لم يكن يهمه شيء .. أو يمكن القول انه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشئ عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيت واحد . أعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يلتمسه الانسان لمثل هذا التصرف الشاذ

- وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية !

- أعتقد أن الزا كانت مدركة هذه الحقيقة . والواقع أنها كانت شديدة الإعجاب به كفنان . فضلا عن حبها العميق له كرجل . ولعل هذا الإعجاب ، وهذا الحب ، كانا من الاسباب التى جعلتها تحتل حرج الموقف بشجاعة ، بل بجرأة تبلغ حد ... التهور

— وماذا عن كارولين ؟

— كارولين ؟ آه . لقد كنت دائما أشعر بالميل اليها . وقد داعبني الامل يوما بالزواج منها ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الامل . ومع ذلك فقد بقيت — اذا جاز لي أن أقول هذا — محبا لها ، واضعا نفسي في خدمتها

وأوما بوارو براسه في فهم وإدراكه . لقد كان يعلم ان مثل هذا الرجل المحافظ اذا أحب ، فإنه يحب بشرف ، ويتفانى فيمن يحب الى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء وقال وهو يزن كلماته بعناية :

— اذن لاشك انك لم تكن راضيا عن تصرفات كريل معها !

— نعم ، وقد تحدثت معه بشأن هذه الفتاة الزا جرير

— متى ؟

— في اليوم السابق على المأساة . لقد حضروا هنا جميعا لشرب الشاي ، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له انه بهذا التصرف يسئ الى كل من كارولين والزا ، وانه اذا كان ينوى الزواج بالفتاة ، فليس هناك ما يدعوه الى احراج كارولين وتحديثها هكذا علنا ، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف

— وماذا كانت اجابته ؟

— قال ان على كارولين أن تحتمل رغما عنها

— لا شك انها اجابة خالية من كل عطف واشفاق

— نعم ، ولهذا لم استطع أن اتمالك زمام اعصابي ، فعنفته بشدة قائلا ان الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا العذاب حتى لو لم يعد يجيها ، وأنه لو كان يحب الزا حقاً لما عرضها لمثل هذا الموقف الحرج ، فما كان منه الا أن اجاب قائلا ان على الزا أيضا أن تحتمل هذا الموقف رغما عنها ، ثم استطرد في حديثه معي فقال ان هذه اللوحة التي يعمل بها هي خير انتاجه الفني كله ، وأنه لن يسمح لاية امرأة في الدنيا ان تحول بينه وبين اتمامها ، فقلت له ان الرسم ليس كل شيء في الدنيا فقاطعني قائلا انه ، بالنسبة اليه ، يعتبر كل شيء . فذكرت له ان كارولين تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء ، وان هذا لا يليق برجل يحترم نفسه ،

فقال لى انه يعرف هذه الحقيقة ، وانه جد آسف ، وانه يعرف أن زوجته تتعذب فى حياتها معه ، وانها ، بالنسبة اليه ، ملاك كريم ، ولكنه كان قد حذرهما قبل الزواج بأنه عاطفى ، و «زير نساء» وبوهيمى المزاج . فقلت له ، مهما يكن الامر ، فلا ينبغي ان يحطم حياته الزوجية حرصا على مستقبل طفلهما - على الاقل - وكذلك بينت له بوضوح أن الزا فتاة طائشة ، وأنه لا يجب الاعتماد على عواطفها فى مثل هذه السن ، ومن المحتمل جدا أن يندم كل منهما بعد الزواج ، وأن من الخير كل الخير أن يقطع علاقته بها ، ويعود الى زوجته وطفله - وماذا قال ؟

- نظر الى فى اضطراب وارتباك ، ثم ربت كتفى وقال : «انك صديق طيب يا ميرديث ، ولكنك عاطفى أكثر مما ينبغي ، انتظر حتى أقرئ من الصورة وسوف ترى أننى على حق » وتنهد ميرديث ثم أردف قائلا :

- لقد كنا جميعا نشعر بالاسى والالام فى ذلك الحين
- الا امياس كريل ؟

- نعم . لانه كان انسانا لاتهمه غير مصالحة الخاصة . واذكر بوضوح أنه اختتم حديثه معى بقوله : « اطمئن يا ميرديث . . فسوف ينتهى كل شىء على خير »

- ان هذا دليل على أنه من الناس المتفائلين بطبيعتهم
- انه من أولئك الذين لا يهتمون كثيرا بمشاعر النساء ، وقد أردت أن أقول له ان كارولين فى حالة يأس ، وأن المرأة حين تياس تكون اشد خطرا من الوحش . . ولكنى كنت ادرك أنه سيسخر منى لو حدثته بهذا

- وهل حدثتك كارولين بالامها ؟

- حدثتنى تلخيصا وفى كلمات قليلة ، ولكنى كنت ارى فى وجهها الشاحب وفى نظرات عينيها ، امارات اليأس العميق . كانت تتحدث وتضحك اكثر مما ينبغي ، ولكن الحزن العميق كان يطل بوضوح من عينيها ، ويكاد يذيب أقى القلوب وأغلظها . لشد ما كانت رقيقة وادعة

وبعد برهة من الصمت ، استطرد ميرديث فى حديثه وكانما

فتحت ذاكرته أبواب الذكريات على مصارعها ، فأنشأ يقول :

— كان ينبغي أن ارتاب في الأمر . فقد كانت كارولين هى التى وجهت الحديق الى ٠٠٠ الى هوايتى فى استخراج العقاقير من النباتات الطبية ، وكانت النتيجة أنى تحدثت الى الضيوف عن هذه الهواية ، وعن بعض الخرافات الخاصة التى تحتم على الهوى أن يلتقط بعض الاعشاب الطبية فى ضوء القمر ، ثم تحولت فى حديثى الى نبات « الهملوك » المرقط Spotted Hemlock الذى يستخرج منه مخدر الكونين السام

— هل كان حديثك هذا فى غرفة العمل ؟!

— نعم ، كنت أتحدث وأشرح حديثى بالانسابة الى مختلف العقاقير والمركبات والمستخرجات ، وأذكر انى حدثتهم عن عقار الفاليريان Valerian الذى تجذب رائحته القطن ، وتحدثت اليهم عن طريقة استخراج البلادونا والأتروبين . . . وقد بدأ الاهتمام على وجوههم جميعا أثناء حديثى

— جميعا ؟

— نعم ٠٠٠ جميعا : فيليب ، وأمياس ، وكارولين ، وأنجيلا ،

والزائر ٠٠

— ألم يكن هناك أحد آخر ؟ كالمربية مس ويليامز مثلا ؟

— لا ، لم تكن مس ويليامز معنا . انها مربية تعرف كيف

تؤدى واجباتها . واعتقد أن أنجيلا كانت تثير قلقها كثيرا

— لماذا ؟

— لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير « المقلب » ، والتنادى فى

المداعبة القليلة . فقد وضعت ذات يوم خنفساء فى قفا أمياس وهو

منهمك فى رسم لوحة هامة . وأذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها

بالمدرسة

— يلحقها بالمدرسة ؟

— لا لأنه كان يكرهها . وإنما لأنها كانت تميل الى الشغب

والإتارة . واعتقد أنه أيضا كان يغار منها ومن مكانها الرفيعة فى

قل كارولين ، روجته . وكانت كارولين شديدة الحب والعطف

على أختها لأن ٠٠٠

مقاطعه بوارو قائلا :

- لا، انها كانت السبب في تشويه جانب وجه الفتاة . فأرادت ان نعرضها بالحب والحنان ؟

- آه .. اتعرف هذا ؟ حسنا . لقد كانت كارولين تشعر دائما بوخز الصمير لهذا السبب

- وهل كانت انجيلا حاقدة على اخيها ؟

- لا لا ، مطلقا ، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تسير من قريب أو بعيد الى هذا الموضوع

- وهل كانت انجيلا راضية بفكرة الذهاب الى المدرسة

- لا ، بل نارت في وجهه أمياس وأرادت أن تتحداه ، ووفقت أختها بجانبها ، ولكن أمياس كان من الرجال الذين اذا قرروا أمرا فمن يرجعوا عنه أبدا . وهكذا لم يكن على انجيلا الا أن تخضع في النهاية لقراره

- ومتى تقرر الحاقها بالمدرسة ؟

- في ذلك الحريف الذي وقعت فيه المأساة . فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجبائها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة ، لذهبت اليها بعد أيام معدودة . فقد سمعت حديثا في الصباح عن ترحيلها بعد اعداد حقائقها

- وماذا كان رأى المربية المس ويليامز ؟ ألا يعنى الحاق انجيلا بالمدرسة ، تعطلها هي عن العمل !

- نعم . ولكن هل بعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الاخلاق مثل مس ويليامز الى ارتكاب جريمة قتل حتى لاتتعطل عن العمل ؟

- غير معقول طبعاً ، وان كان بعض الناس يرتكبون أشنع الجرائم لا تفه الاسباب . حسنا يا مستر بليك ، وماذا كان رأى الزا في الموضوع كله ؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهي تعمل على تحطيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته !

- لا . أبدا . لقد تحدثت معها طويلا في هذا الشأن ، فضحكت وقالت ان الانسان يجب أن يبحث عن السعادة في الحياة وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة

من المشاجرات والمنازعات ، فليس هناك أفضل من أن يتحرر كل منهما من الآخر ، ورغم أنى لم أقتنع طبعاً بمنطقها ، فاني لم أستطع أن أقتنعها بمغبه هذه المغامرة التي توشك على ركوبها بالزواج من رجل يكبرها بعشرين عاماً

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

— ألا لا زلت يا مستربليك هاويا لاستخراج العقاقير من الاعشاب الطبية ؟

— لا لا لا . لقد نفضت يدي تماماً من هذه الهواية بعد المأساة فأنا حتى اليوم لا زلت أشعر بأنى لا أخلو من المسؤولية غير المباشرة فيما حدث

— هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التي بقيت فى معملك ؟

— نعم ، بصمات أصابع كارولين فقط

— وأصابعك أنت ؟

— لا ، لم أسك الزجاجة بيدي ، وإنما أشرت إليها فقط أثناء حديثي . ولا شك أن آثار بصماتي القديمة عليها زالت بسبب استعمال المنفضة يومياً لازالة الغبار عن الزجاجات ، وبهذه المناسبة كنت انا الذى انظف الزجاجات . لم أكن أسمح للخدم بدخول المعمل . كنت أحرص دائماً على غلق بابه بالمفتاح

— ومتى اختلست كارولين كمية الكونين ؟

— ونحن فى طريق الخروج من المعمل ، فقد كانت هى آخر من خرج ، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلاً مع الزا جرير ، ثم ناديت على كارولين حين رأيت أنها تأخرت فى الخروج ، فجاءت مضطربة متوهجة الوجنتين ، متألقة العينين . يا الهى ! انى أكاد اراها الآن

— هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليوم ، أعنى محادثة بشأن الموقف الذى كان بينها وبين زوجها

— نعم ، ولكن فى كلمات قليلة . عندما رآيتها مضطربة النفس ، قلت لها : « هل حدث شيء ياكارولين ؟ »

فقالت : « حدث كل شيء ، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء » لقد انتهيت أنا يا ميرديث « ثم أرسلت ضحكة عصبية ،

وتحولت نحو الآخرين في ابتهاج مصطنع

وصمتت ميرديث برهة ، قبل أن يستطرد قائلا :

— أؤكد لك يا مسيو بوارو أن كارولين كانت صديقة حين اعترفت
اتناء المحاكمة بأنها اختلست كمية الكونين لتتنحز بها . نعم ، انها
لم تفكر في قتل زوجها الا في اليوم التالي

— هل انت واثق تماما ان كارولين هي القاتلة ؟

— اذا لم تكن هي ، فمن يكون ؟ ام لعلك تعنى ان الحادث وقع
قضاء وقدر ؟

— ربما

— هذا عجيب جدا

— لماذا ؟ الم تقل انت ان كارولين كانت دائما سيدة رقيقة لطيفة ،
اى ملاك بالقياس الى زوجها ؟

— نعم

— فهل يمكن لمثل هذه السيدة ان ترتكب جريمة قتل عمد مع
سبق الاصرار ؟

— كان لكارولين ، رغم رقتها ولطفها ، لسان حاد لاذع تلهب به
زوجها أحيانا عندما يتعمدى في سوء سلوكه ، وكانت أحيانا تقول له :
« اننى اكرك » لشد ما اتمنى ان اقتلك وامزق جسمك بيدي »
او شيئا من هذا القبيل . واعتقد ان تصرفات كريل الأخيرة
وتحديه السافر لها قد أفقدها الصواب ، وجعلها تقدم على ارتكاب
هذه الجريمة . ان التى ارتكبت هذه الجريمة ليست كارولين العاقلة
اللطيفة ، وانما كارولين التى فقدت عقلها

— اذن فانت لا توافق على نظرية انتحار كريل ؟

— لا لا . ان كريل كان آخر انسان في الدنيا يفكر—مجرد تفكير —
فى الانتحار

— كانت في هذه الحالة جد واثق من ادانة كارولين

— أعود فأقول اذا لم تكن هي ، فمن يكون ؟

— ليس هناك احتمال — مجرد احتمال بسيط — فى أن يكون
القاتل، شخصا آخر غيرها !

— انه احتمال مستبعد ، بل مستحيل . لقد كان فيليب من اخلص
اصدقائه ، وليس هناك ادنى سبب لارتكاب مثل هذه الجريمة . .
وأنا ! هل أبدو في نظرك قاتلا ؟ حسنا . والزنا هل يفعل أن تقتل
النسخ الذي كانت تحبه بكل ذرة من كيائها . . المقول ان تقتل
كارولين ، وكذلك لا يعقل أن ترتكب صبيبة مثل انجيلا جريمة قتل .
وليس هناك ادنى سبب يدفع مربية محترمة مثل المس ويليامز الى
ارتكاب هذه الجريمة . . وكذلك الخدم لم يكن لهم اى دخل في
الموضوع كله

فقال بوارو بعد برهة صمت :

— هل يمكن يا مستر بليك أن تتكرم وتكتب كل ماتعرفه اوتذكره
عن هذه المأساة ، لقد وافق شقيقك المستر فيليب على كتابة
ذكرياته بخصوص هذا الموضوع

— فيليب ؟ هل تحدثت معه في هذا الشأن ؟

— نعم

— لا شك في أنك لاحظت مبلغ تعامله على كارولين

— لقد أدهشنى هذا التعامل فعلا

— لقد كان معاديا لها دائما

— لماذا ؟

— لا ادرى ، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة .
واعتقد انه كان شديد الاستياء يوم تزوجت كريل ، بل انه امتنع
عن الذهاب اليهما عقب الزواج عاما كاملا ، ومع ذلك فقد ظل أمياس
اخلص اصدقائه . واعتقد ان هذا هو السبب . فقد كان يعتقد
ان أمياس اعظم شأنا منها ، وكان يخشى أن يواجه بها سيفسد
صداقتهما الرائعة

— وهل هذا ما حدث ؟ !

— لا ، فقد ظل أمياس شديد الوفاء لفيليب الى آخر لحظة

— وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع الزنا جرير ؟

— كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع . كان ساخطا على
أمياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما ، وكان في الوقت نفسه ،

يشعر بالسرور الخفى لان كارولين سوف تنفصل فى النهاية عن
صديقه الوفى

فرفع يوارو حاجبيه فى دهشة وقال :
— احقا ؟

— هذا هو شعورى الخاص وان كنت غير واثق تماما
— وماذا كانت حالته بعد المأساة ؟

— كان شديد الحزن الى حد الانهيار . لقد كان فيليب يحب
امياس اشد الحب بل كان يراه مثلا أعلى . ولعل هذا هو الذى
جعله يزداد كرها لكارولين وسخطا عليها

وبعد برهة صمت ، قال ميرديث فجأة :

— لقد انتهى كل شيء ، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضى
وذكرياته المؤلمة ؟

— هذا هو ما ارادته كارولين كريل

— كارولين ؟ ! ماذا تعنى ؟

— لقد تركت لابنتها كارلا خطابا قصيرا ، وطلبت من المسئولين
الا يسلموه لها الا بعد بلوغها الحادية والعشرين ، فهل تعرف ماذا
كتبت فى هذا الخطاب ؟

— لا ... طبعاً

— اقسمت فيه لابنتها ، وهى على فراش الموت ، انها بريئة !

— هل ... اقسمت كارولين ... على هذا ؟

— نعم ، هل ادهنك هذا ؟

— جدا ، لو انك رايتها اثناء المحاكمة ، لما خالجتك ادنى شك فى
ارتكابها للجريمة . فقد كانت شاحبة ، متهاكة ، مستسلمة لهجمات
ممثلى الاتهام ، معترفة بكل شيء تقريبا فيما عدا ارتكابها للجريمة ،
اي فيما عدا وضعها السم فى الشراب لزوجها . لقد بدت لى يومذاك
الانموذج الكامل للزوجة التى قتلت — فى ساعة يأس — زوجها
الحبيب ، ثم ندمت ، وقررت ان تلحق به .. اما الان

— اما الان ؟

— بعد ان اقسمت فى خطابها لابنتها على براءتها ، فقد بدأت اشك

بل بدأت اعتقد انها بريئة حقا ، فانا امرف تماما ان كارولين كانت من الاشخاص القليلين جدا الذين لا يعمدون الى الكذب لاي سبب ، ولكن ...

وصمت ميرديث برهة ، وراح ينظر في زهور الى بوارو ثم قال :

— نعم ، ولكن اذا لم تكن هي ، فمن يكون ! اننى شخصا لا ارى اى احتمال آخر

ثم اردف قائلا في حدة لبوارو :

— وانت ... ما رايك ؟

— انا لا راي لى . اننى الآن اجمع الحقائق فقط . اننى اريد ان اعرف كيف كانت كارولين ، وامباس ، والاشخاص الذين شهدوا المأساة . اريد ان اظفر من كل واحد من هؤلاء الاشخاص برأيه الخاص ، وبشعوره ، وبرد الفعل الذى تركته المأساة فى نفسه ، وبذكرياته الخاصة عنها . . . ومن هذا كله أستطيع ان اصل فى النهاية الى الحقيقة

فقال ميرديث متحمسا :

— هذه فكرة صائبة . وانا متفق معك . ومن حسن الحظ انى احتفظ بمفكراتى القديمة ، ويمكننى ان اكتب لك ، اذا شئت ، تقريرا كاملا عما حدث فى ذلك اليوم ، وفى اليوم السابق عليه . ولكن اسلوبى فى الكتابة ليس كما ينبغي

— اوه ... اننى اريد الحقائق فقط ، اما الاسلوب فلا يهم . وبهذه المناسبة أعتقد أن قصر البربرى قريب من هنا . فهل يمكن ان اذهب اليه وأرى هذا المسرح الذى جرت عليه احداث المأساة ؟

— ممكن جدا ، ولكن كثيرا من التغييرات ادخلت عليه

— هل هدم واقيم من جديد ؟

— لا . اشتترته احدى الجمعيات ، وجعلت منه مصيفا للشباب ، وملاأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم

— ومن الذى باعه !

— الوصى على كارلا ، باعه وضم ثمنه الى اموالها التى ورثتها عن

ابويها

- ألم ترث انجيلا شيئا ؟

- لا ، مطلقا ، ولكنها كانت واثرة عن ابها ثروة صغيرة

- آه . فهمت . حسنا . يمكنك بامستر بليك أن تبين لى
الاماكن التى تناولها التغيير

- نعم . . . نعم . ومن حسن الحظ أن الممرات وحديقة البحر
لا تزال كما هى

وفيما هما يسيران ، قال بوارو حين رأى البحر أمامه :

- الى أين نمضى ؟ !

- أننا نمضى الى خليج ضيق يمتد من البحر الى داخل اليابسة ،
وهذا الخليج يفصل بين ضيعتى وضيعة الدربرى . ونحن
سنعبره الآن بالزورق فى خمس دقائق ، أما اذا سرنا حول نهاية
الخليج ، فاننا نصل بعد ساعة ونصف ساعة

ولما عبرا الخليج بزورق خاص ، أردف ميرديث قائلا :

- هذا هو الطريق الذى كنا نتبعه منذ القدم الا اذا قامت عاصفة
شديدة ، ففى هذه الحالة نستخدم الطريق البرى

وفى الجانب الآخر من الخليج ، شاهد بوارو مجموعة من «الكابينات»
المشيطة بالاسمنت ، والمخصصة للسباحة ، وقد أشار اليها ميرديث
قائلا :

- هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل

وفيما هما يسيران صعدا فى ممر متعرج تحف به الأشجار ، أردف
ميرديث قائلا .

- من المحتمل ألا نلتقى بأحد هنا ، فاننا الان فى شهر ابريل ،
ولم يبدأ موسم الاصطياف بعد . وحتى اذا التقينا بأحد ، فلا
خوف ، لانى على علاقة طيبة بجميع جيرانى

ولما بدأ الممر يدور حول سور حجرى ، أشار ميرديث اليه
وقال :

- هذا هو سور حديقة البحر . ونحن نسير حوله الآن فى
الطريق الصاعد الى القصر

وسارا مرة أخرى فى منعطفات الممر المحفوف بالأشجار حتى وصلا
الى باب حديقة البحر . وكان من الممكن أن يتجاوزاه ويواصلوا

السير في الممر الى القصر ، ولكن ميرديث فتح الباب ، ودخل مع بوارو الى حديقة مشمسة ، ساطعة الضوء ، تقوم على هضبة تشرف على مياه البحر ، وكانت بها بعض الاشجار القليلة واحواض الزهور . وقد قال بوارو وهو يمسخها بنظرته :

— مكان شاعري جميل

وأشار ميرديث الى جوسق خشبي متهدم وقال :

— هنا كان أمياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات البيرة والاقداح . وكان ثمة مقعد مستطيل ، ومنضدة وحامل للرسم . ولا شيء غير هذا

— وهناك ... مات أمياس ؟ !

— نعم . على المقعد المستطيل الذي كان موضوعا بالقرب من جوسق أدوات الرسم . وكان من عادته أن يرقد فوق المقعد على وجهه ساعة أو أكثر أو أقل ، يفكر ، ويتأمل ، أو ربما يستوحى آلهة الفن ، ثم يقف واقفا ويعمل بفرشاته كالمجنون في اللوحة . وهكذا ...

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

— هذا هو السبب الذي جعله يبدو في نظري طبيعيا حين غادرت هذه الحديقة مع الزا الى طعام العشاء . لقد كنت جالسا في ذلك المكان المرتفع الذي تراه يشرف على الحديقة من ناحية القصر . فلما دق جرس الغداء ، نهضت ، وهبطت ، وكانت الزا أسبق مني الى الباب ، وكان أمياس متهاككا على المقعد يستريح ، وقد علمت من الزا أنه سيتم ليتم اللمسات الاخيرة من اللوحة . وكان هو ينظر اليينا نظرات قريبة لم أفهم معناها في تلك اللحظات . ولكن لم يكن ثمة امارات للآلم على وجهه . حمدا لله ، وانما كان . دون أن ندري ، في حالة شلل

— ومن الذي اكتشف وفاته ؟

— كارولين ... الزا وأنا كنا آخر من رآه حيا . على كل حال سوف اكتب لك تفاصيل ماحدث بدقة

— بعد الرجلان صعودهما في الممر المتعرج حتى وصلا الى هضبة اخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظلها الاشجار ،

وتد قال ميرديث انها المكان الذى كان جالسا فيه ينظر الى امياس وهو مشغول برسم لوحة الزا

وبعد ان وصلا الى القصر وطافا بحجراته ، ووقفوا برهة في شرفته الكبيرة ، عادا الى شاطئ الخليج عن طريق ممر آخر ، اطول ، حتى اذا بلغا ضيعة هاندكروس مرة أخرى ، قال ميرديث وهو يدخل ردهة بيته مع بوارو !

— لقد اشتريت تلك اللوحة طبعاً . اللوحة التى مات امياس وهو يرسم اللسان الأخيرة فيها . لم أشأ أن اجعلها تقع في أيدي جماعة من الغلاظ الحمقى الذين لن يروا فيها الا فتاة جميلة في سراويل قصيرة تكشف عن ساقها وأعلى فخذيها ، وجزء كبير من صدرها . فهل تحب أن تراها ؟

فلما أوما بوارو برأسه ، مضى ميرديث به الى غرفة أدرك بوارو من النظرة الاولى انها غرفة العمل القديم . فقد كانت زاخرة بالارفف والزجاجات القديمة الفارغة ، ومنضدة فى الوسط ، ولما فتح ميرديث نافذتها ، انسأب اليها الضوء مع عطر نسائم الربيع

ووقف بوارو يستنشق رائحة أزهار الياسمين ، بينما قال ميرديث :

— هنا بالقرب من هذه النافذة كنت واقفاً . يا للذكريات . . .
كما أقف الآن أشم عطر الياسمين . وكنت أحدثهم — بحماسة — عن مفعول مختلف العقاقير التى استخرجها من النباتات الطبية
ثم تحرك ميرديث الى الجدار المواجه للنافذة ، ورفع غطاء زائخا بالغبار من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو ينظر فى دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة فى قميص مفتوح أصفر اللون ، وبنطلون قصير أزرق اللون ، جالسة على سياج حجري من الحجارة القائمة ، ومن ورائها الافق الأزرق البعيد

ورغم ألوان الصورة الصارخة ، المتنافرة ، فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فنى ينم عن عبقرية خاصة وموهبة أصيلة . عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب ، وبالحياة ، وبالحياة ، أما عيناها ! فان بوارو شعر برعدة تسرى فى جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المغمى بالجاذبية والفتنة والتوثب



ورفع ميرديث غطاء زائخا بالقبصار من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو
ينظر في دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة . . .

وقال بوارو وهو يشير بيده الى اللوحة :

— انها ، حقا ، عمل فنى عظيم . . . عظيم جدا

وقال ميرديث بأنفاس لاهثة :

— ولشد ما كانت متوثبة بالشباب والجمال !

— نعم بالشباب . . . الشباب الذى اجتمعت الآراء على أنه . . .

الشباب القوى الطائش ، القاسى ، العنيف

وفيما هو يفادر الغرفة مع ميرديث ، توقف برهة ، واستدار الى الصورة ، ورأى العينين تحدقان النظر فيه ، وشاهد فى نظرات العينين شيئا عجيبا ، مثيرا . وفهم بوارو هذا الشيء ، ولكن ترى كيف يكون الحال لو أنه أخطأ الفهم ؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين ، وهى لم تزل على قيد الحياة ، وفى أوج الانوثة ، بكل شيء !!

أم أن المرأة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التى كانت منبعثة من عينيها أثناء التصوير ؟ انها نظرات فتاة أحبت . . . أحبت بكل كيانها . . . بكل قطرة فى دمائها . . . بكل خلجة من أعماق نفسها ، وانتعشت بالانتصار فى الحب ، ورأت الدنيا كلها مختزلة فى وجه السيب ، ثم جاء الموت ، واختطف منها الحب ، والامل ، والسعادة ، و"طفة" ذلك النور المقدس من العينين ، وحل محله ، ياللهول !

ترى ما شكل عيني الزا جرير الآن !

وغادر بوارو الغرفة ، بعد أنلقى نظرة أخيرة

وقال لنفسه :

— لقد كانت متوثبة بالحياة الى حد . . . التحفز

ومرة أخرى سرت فى جسده رعدة خفيفة

الفصل الخامس

ذات العينين المحزنتين

كان كل شيء في قصر اللورد ديتشام ينم عن الثراء والترف ، بل ينم عن الرغبة في اقتناء الافضل والاثمن . وهناك ، في احدى فاعات الاستقبال الفاخرة ، وقف بوارو أمام الليدى ديتشام ، بعد أن اذنت له بالمقابلة ، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفاة فاخرة

وكانت أول عبارة وردت بذهن بوارو ، وهو يرى الليدى ديتشام ، أى الزا جرير ، هى : « لقد ماتت فى شبابها ! »

لقد خامره الشك ، برهة ، فى أن هذه السيدة ، هى نفسها الزا جرير ، التى شاهد صورتها فى غرفة معمل المستر ميرديث بليك . . لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحوية والشباب الفائر الثائر . . أما هنا ، أما هذه السيدة ، فليس فيها من امارات الشباب شيء . نعم ان الجمال موجود ، وموفور ، وناضج ، ولكن الشباب ، الحوية ، البهجة ، الحماس ، الالهفة الشوق الى المجهول . الامل فى الغد ، كل هذا لم يكن موجودا

ان بوارو يذكر فى تلك اللحظة مأساة روميو وجوليت ، لقد ماتت جوليت لانها لم تطلق البقاء بعد روميو ، أما الزا ، فانها بقيت على قيد الحياة . . . ميتة !

وكانت هى تتحدث بصوت رتيب رنان :

- تفضل بالجلوس يا مسيو بوارو، وثق اننى مهتمة بالموضوع الذى اجله جئت

وقال هو لنفسه :

« لا ... أنك كاذبة ، ان كل شيء ينم على أنك لم تعودى تهتمين
بشيء ... أى شيء »
وبصوت مرتفع قال :
- اننى يا سيدتى مرتبك ، مرتبك جدا !
- لماذا ؟
- لاننى أدرك ان الحديث عن الماضى ، عن هذه المأساة بالذات ، مؤلم
لك

فابتسمت وقالت :
- هذا لانك تعتقد اننى سيدة مرهقة المشاعر ، والواقع اننى
أبعد الناس عن المشاعر المرهقة . اننى امرأة واقعية ، لا مجال
للخيال فى حياتى . لقد كان أبى كما تعلم صبى طحان ، وظل
يجاهد فى الحياة حتى نجح وكون ثروة طائلة . والرجل العصامى ،
عادة ، لا يعرف شيئا اسمه الاحساسات المرهقة
وقال بواردو لنفسه :
« نعم ، صدقت فلو كنت مرهقة المشاعر ، لما جرؤت على
الذهاب الى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد »
وعادت هى تقول :
- ماذا تريد أن تعرف منى ؟
- هل انت واثقة يا سيدتى ان الحديث عن هذا الموضوع
لا يؤلمك ؟

وترددت برهة . وأدرك بواردو فجأة ، أن هذه السيدة الجالسة
معه ، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ الى الكذب للضرورة وأخيرا
قالت :
- ان هذا الموضوع ، أعنى الحديث عنه ، لا يؤلمنى ، وانى أتمنى
لو أنه يشير الى
- لماذا ؟
- لان من قسوة الحياة أن يعيش الانسان بدون مشاعر أو
احساسات

وعاد بواردو يؤكد لنفسه قائلا :
« نعم ان الزا جرير قد ماتت »
وقال بصوت واضح :

— على كل حال ان موقفك هذا ييسر مهمتى ، فشكرا

— ماذا تريد ان تعرف !

— أستمعين بذاكرة قوية يا سيدتى ؛

— نعم

— ووثيقة تماما ان الحديث عن هذه المأساة لا يثير اشسجناك

والأمك ؟

— أؤكد لك اننى ، حتى اثناء المحاكمة ، لم اكن اشعر بالالام ، بل على العكس ، لقد استمتعت بها برغم سخط الجماهير على . لقد كان محامى الدفاع قاسيا على ، ولكنى عرفت كيف احاربه وانصر عليه . نعم كانت ايام المحاكمة كلها مثيرة رائعة ، ولشدد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدر حكم الاعدام على كارولين

ونظر بواردو الى يدى الزا ديتشام . يدان جميلتان ... ولكن بأظافر طويلة معقوفة كالمخالب !

وعادت هى تقول :

— لعلك تظن اننى امرأة قاسية لا ارحم . نعم هذه هى الحقيقة . اننى لا اشعر بالرحمة لمن يسيء الى . ولقد أساءت تلك المرأة الى اساءة لا تغفر ، اساءة حطمت حياتى كلها ، كانت تعلم ان امياسى يحبنى ، وأنا احبه بكل ذرة من كيانى ، وأنا سنتزوج حالما يتم طلاقه منها . ومع ذلك قتلته حتى لا اسعد بالحياة معه

وشردت نظراتها وهى تردف قائلة :

— فهل هناك اساءة أشد من هذه !

— ألم تحاولى أن تلتمسى لها العذر ؟

— لا ، مطلقا . اننى كما ذكرت امرأة واقعية ، اذا خسر الانسان المباراة ، فيجب أن يعترف بالهزيمة . واذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ بزوجها ، فيجب أن تفرج عنه وتطلق سراحه . اننى لا أفهم معنى احتفاظ امرأة بزواج لا يريد الحياة معها

— لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به ؟

— لا اظن ... اننا لم تكن ...

ثم توقفت فجأة عن الحديث ، وابتسمت . وشعر بواردو بشيء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفتيها ، ولكنها اردفت قائلة :

- احب اولاً ان ابن لك بوضوح ان امياس كريل لم يقع في حبائل
جاذبية فتاة بريئة صغيرة معجبة به . انا التي اوقعت به في حبائلي
لقد التقيت به في حفلة ، واحببته من اول نظرة ، وقررت ان اضع
نفسى ، وثروتى ، واعيش بجانبه كالجارية
- رغم انه زوج ووالد ! !

- نعم ، ولم لا ؟ لقد كان شقياً في حياته الزوجية ، فلماذا لا يسعد
بالحياة معى ، ان للانسان في هذه الدنيا حياة واحدة فقط
- ولكن المعروف انه ، رغم كل شيء ، كان سعيداً مع زوجته !
- لا لا . كانا يتشاجران دائماً ، وكانت هى تطلق عليه لسانها
السليط كل يوم تقريباً . كانت زوجة لعينة . لعنها الله
ونهضت الزا دينشام واقفة ، وأشعلت لغافة تبخ ، ثم قالت :
- قد اكون قاسية عليها ، ولكننى اعرب عن شعورى نحوها ، وعن
كراهيتى لها وحقدى عليها
- لا شك انها كانت مأساة عنيفة

- نعم . مأساة عنيفة ... قاسية ... رهيبة ... مأساة قتلتنى .
أما انتى ... جعلت حياتى خواء ... خالية ... فارغة ..
ثم لوحث بيدها وارذنت قائلة :
- أصبحت كسمكة ميتة ... محشوة للزينة !
- الى هذا الحد كان امياس كريل يهكم ؟
فأومأت براسها ايماء اكدت بها لبوارو ان امياس كان ، بالنسبة
لها ، كل شيء في الحياة ، ثم قالت :

- اننى يا مسيو بوارو امرأة عنيدة منذ طفولتى ، وقد كان من
الممكن ان أقتل نفسى بعد امياس ، ولكننى لم أفعل ، فان قتل
نفسى معناه الهزيمة أمام الحياة . وانا لم اتعود الاعتراف بالهزائم
- وبعد هذا ؟

- لا شيء . قررت ان اقاوم واتقلب على الصدمة واعيش .
ولم يعد الامر بالنسبة الى الآن الا ذكرى ... مجرد ذكرى
وبعد برهة من الصمت أردفت قائلة :

- اننى لم أكن فى يوم ما منافقة ، أو مرائية ، وانما اسير
على المثل الاسباني القائل : « خذ ما تريد وادفع الثمن ... هكذا
الحياة » . وانا أفعل هذا . احاول ان اظفر بكل ما اريد دون ان
اخشى من دفع الثمن

- ولكن فى الحياة اشياء كثيرة لاتباع !
— نعم . ولهذا فانا لا اقصد بكلمة « الثمن » المال دائما ،
فان الثمن يتوقف على طبيعة الشيء الذى تريده
— اننى افهم ما تعنين ، ولكن ، مع هذا ، فان ثمة اشياء كثيرة
لا تباع بالمال او بغير المال
— كلام فارغ
وابتسم فى رفق ، بينما اردفت هى قائلة :
— حدثنى عن هذا الكتاب الذى تنوى شركة النشر اصداره .
ما الغرض منه ؟
— اى غرض يمكن ان يكون اكثر من ربط احداث الماضى بمثيرات
الحاضر ؟
— ولكنك لست كاتباً ؟ !
— لا . ولكنى خبير بالكشف عن الجرائم
— هل تعنى انك مكلف بتحقيق هذه الجريمة ؟
— مكلف بالوصول الى الحقيقة . . . ايا كانت
— . . . معنى ؟ !
— من كارلا لامرشات ؟
— من هى ؟ !
— انها ابنة كارولين واميباس كريل
— آه . . . حقا . . . كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة . .
لاشك انها كبرت الآن
— نعم . انها الآن فى نحو الحادية والعشرين ، طوبيلة ،
رشيقة ، رائعة الجمال . واعتقد انها قوية الشخصية موفورة
الشجاعة
— اننى اتمنى ان اراها
— ولكنها قد لا تريد ان تراك
— لماذا ؟ آه . . . فهمت ، ولكن من المحتمل انها لا تذكر شيئاً
مما حدث ، فانها لم تتجاوز يومذاك الخامسة او السادسة من
عمرها
— انها تعرف ان امها حوكت بتهمة قتل ابيها

- ولا شك أنها تعتقد أنني السبب المباشر فى كل ما حدث
— محتمل ... أو مرجح ...
فهزت الزا كتفها وقالت :
— يا للحقاقة ؟ ان كارولين فى الواقع هى السبب ، فلو أنها كانت
واقعية فى تصرفاتها لما ...
— اذن فأنت لا تشعرين بأية مسئولية فيما حدث ؟
— لماذا أشعر ؟ ليس هناك ما يدعونى للخجل .. مطلقا . لقد
أحببته ، وكنت أريد أن أسعده . اننى لا أدري كيف أجعلك تنظر
الى الامر من زاويتي ، فلو أنك كنت تعلم حقيقة الجو المحيط
بالمأساة ...
فانحنى بوارو فى لهفة وقال بسرعة :
— هذا ما أريد أن أعرفه ، فعلا ، وقد وعد المستر فيليب بليك
بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث ، وكذلك وعد المستر ميرديث
بليك ، فإذا سمحت أنت ...
فنفست بعق وقالت باحتقار :
— ان هذين الاخوين كانا دائما أحمقين .. كان فيليب يخفى
غرامه بكارولين تحت ستار من الكراهية ، وكان ميرديث يتمنى
رضاها ، ولكنه انسان طيب ، ساذج . أكبر ظنى أنك لن تظفر بشيء
ذى بال من تقريرهما
وصمتت برهة قيل أن تقول فجأة :
— هل تريد الحقيقة ، الحقيقة لذاتها ، لا للنشر والاثارة ؟
— اننى لن أنشر شيئا الا باذنك
— لشد ما أهقر الى كتابة الحقيقة ، نعم ... الى شرح موقفى
الحقيقى من هذه المأساة .. الى افهام الناس أن الحب ليس خطيئة ..
وليس ذنبا .. وأن من حق كل اسنان أن يحب .. وأن يتحرر من
قيود الشقاء .. وأن يبحث عن السعادة .. نعم أزيد أن أكشف
للناس حقيقة تلك المرأة التى فضلت الموت لزوجها على اطلاق حريته
والتمعت عينا الزا فجأة ببريق غريب ، وأردفت قائلة :
— قتلتها .. قتلت أمياس .. أمياس الذى كان يريد أن يعيش ،
وأن ينعم بالحياة ، لا ينبغي أن يكون الحقد أقوى من الحب فى هذه

الدنيا .. ولكن الحقد أهوى .. فعلا .. واني لأحقد عليها ..
أكرهها .. أكرهها .. أكرهها !

ونفضت اليه ، وامسكت بك سترته ، واستطردت تقول بصوت
كالفحيح :

— ينبغي أن تفهم .. نعم ينبغي أن تدرك تماما كيف كان الحب
بيننا — أنا وأمياس — لسوف أطلعك على شيء

واستدارت بسرعة ، وفتحت درجا صغيرا ، وتناولت منه خطابا
قدمته الى بوارو وهي تقول :

— اقرأ هذا .. اقرأ لكي تفهم مدى الحب الذي كان يربط بيننا
« الزا .. يا طفلي المدهشة العجيبة التي ليس لها مثيل في
الدنيا .. انني خائف .. انني أكبر منك سنا .. رجل في منتصف
العمر .. دموى المزاج .. متقلب الاهواء .. لا مبادئ له أو مثل
عليا .. لا تنقي في .. لا تؤمني بي .. انني رجل شرير ، وان كنت
فنانا نابغة .. ان أجمل وأعظم ما في نفسي ، أسكبه في فني فقط ..
فلا تقولي يوما انني لم أحذرك

« حسنا يا حبيبتي .. انني ، برغم كل شيء ، سأظفر بك ..
انني على استعداد ، كما تعلمين ، لمخالفة الشيطان من أجلك ، ومن
أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يمسك جنبه من قرطالدهشة
والاعجاب .. انني مجنون بك .. انني لا أستطيع النوم ، ولا الطعام ..
الزا .. الزا .. الزا .. انني ملك يمينك الى آخر العمر .. أمياس »
ورفع بوارو عينييه ونظر الى الزا ، وبدت له في تلك اللحظة
متوهجة الوجنتين ، وكأنما عادت الى الورا ستة عشر عاما .. وكأنما
لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب في أذنيها ..

الفصل السادس

مس وليامز تتحدث

قالت مس وليامز فى لهجة جادة حاسمة :

— هل أستطيع أن أسألك يا ميسيو بوارو لماذا ؟

وكان بوارو قد صعد بعد عشاء الى الغرفة الوحيدة التى تقيم بها مس وليامز ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال . كانت مس وليامز جالسة أمامه ، على أريكة قديمة ، بوجهها المغضن ، اذ كانت قد بلغت الستين من عمرها ، وكانت تردد :

— انك تريد ذكرياتى عن مأساة أمياس كريل وزوجته ، فهل لى أن أسأل لماذا ؟

وشعر بوارو أنه ، أمام هذه السيدة التى قضت حياتها فى تربية وتعليم الاطفال ، لا يستطيع أن يكذب ، وكأنما هو ، قد تحول فجأة ، الى طفل أمام مربيته الحازمة . ومن ثم لم يسعه الا أن يذكر لها الحقيقة كاملة . وأنصتت هى اليه فى اهتمام ، ثم قالت أخيرا :

— كيف حال هذه الطفلة المسكينة الآن ؟ لا شك أنها كبرت وأصبحت شابة !

— نعم وجميلة ، وقوية الشخصية ، وشجاعة القلب . ويمكننى القول ، انها أيضا قوية الارادة ، وهى مصرة على أن تصل الى الحقيقة بأى ثمن !

— هل تتمتع بمزاج فنى كإبيها

— لا أظن

— حمدا لله . . . اذن فهى أقرب الى أخلاق أمها من إبيها

— أعتقد هذا . . . ويمكنك أن تتأكدى من هذه الحقيقة اذا رأيتهما

- اننى أحب أن أراها ، وقد اعتدت دائما أن أسعد برؤيه الاطفال
بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا وساء ...

- من حسن حظها أنها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة
والديها ..

- نعم .. مؤكدا .. لو أنها كانت أكبر ، لترك الصدمة فى
نفسها ايرا لا بمحوه الزمن ..

- بهذه المناسبة يا مس ويليامز .. هل استطيع أن أعرف رابك
عن العلاقة الحميمية التى كانت بين كارولين وابنتها الطفلة كارلا ..
هل كانت بالسنة لها أما مثالية ،

فصمت مس ويليامز برهة ثم قالت .

- نعم الى حد ما .. كانت تهتم بها ، وتبنى بصحتها وتقوم على
رعايتها كاحسن ما يكون الرعاية ، ولكنها ، مع هذا ، كانت متفانية
الى حد التضحية بالنفس فى حب زوجها أمياس .. لم أشهد فى
جانبى زوجة أحب زوجها بمثل هذه القوة والتفانى ... كانت
تعيس فيه ، وبه ، ومن أجله .. واعتقد أن هذا نفس الدافع الذى
جعلها تقضى عليه حتى لا تراه بين ذراعى امرأة أخرى

فقال بوارو فى ذهنة :

- هل نعتي أنهما كانا أقرب الى عاشقين منهما الى زوجين ؟

- أعتقد هذا رغم المشاجرات التى كانت تقوم بينهما

.. وهل كان مخلصا لها كاخلاصها له ؟

- نعم .. ولكنه اخلاص كاخلاص الرجال !

وصمت برهة ، وأدرك بوارو من لهجة صونها وهى تنطق بالكلمة
الاخيرة مبلغ حقدىها على الرجال عموما ، ومن ثم قال باسم فى رقة :

- يبدو أن لك رأيا خاصا فى الرجال "

فقالت بجفاء .

- ان الرجال هم الذين يحكمون هذا العالم .. وهم الذين يملأونه
بالحروب والفساد والشر .. وأنا أرحو الا يدوم هذا طويلا
ونظر بوارو اليها برهة متأملا ، ثم قرر أن يخرج بها من النظرة
العامة الى الخاصة نحو الرجال ، فقال :

- كأنك لم تكونى نجيبين أمياس كريل ؟

- نعم .. لم أكن أميل إليه أو أرضى بتصرفاته .. ولو كنت زوجته ، لا قبلت الحياة معه بأى نم ، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها

- ولكن مسز كريل كانت تحتملها

- نعم

- كانك كنت تعتقدين أنها مخطئة فى هذا الاحتمال !

- نعم .. ينبغي على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا نخضع للاذلال المهيئ

- هل حدثت مسز كريل برأيك هذا أثناء افامتك معها ؟

- طبعاً لا .. ولماذا أفعل ؟ لقد كنت مكلفة بالدريس لانجيلا وارين ، لا لاسداء النصائح لهذا أو ذاك

- ولكنك كنت تحبينها !

- نعم .. أحبها أشد الحب .. ولشد ما حزن عليها ولاجلها

- وتلميذتك ، انجيلا وارين ؟

- كانت فتاة عجيبة ، من أعجب الفتيات اللاتي درست لهن : عقل ذكى ، وشقاوة ، وسرعة غضب ، وحموح .. ولكنها ، مع هذا ، كانت لطيفة خفيفة الظل

تم صممت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

- وكنت أشعر دائماً أنها ستنجح فى الحياة وتحرق شهرة واسعة ومركزاً رفيعاً ، وهذا ما حدث فعلاً .. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية ؟ وهل علمت أنها هى التى اكتشفت بعض مقابر الملوك فى مديرية الفيوم بمصر ؟ اننى فى الواقع شديدة الفخر بها .. حقاً اننى لم أبق معها فى الدبرى غير عامين ، ولكنى اعتقد انى استطعت توحيه عقلاً وذهنها وآمالها فى هذا الطريق .. طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ

فقال بوارو :

- لقد علمت أنه كان قد تقرر ارسالها الى المدرسة ، ولا شك أنك لم تكونى موافقة على مثل هذا القرار ؟
- لا .. لا .. بل بالعكس .. كنت من أشد المؤيدين لتنفيذه .

ولسوف أخبرك لماذا ٠٠ فقد كانت انجيلا ، حين بدأت السدرس لها فى سن الثالثة عشرة ٠٠ وهى سن خطرة مضطربة فى حياة الغنيات ٠٠ وقد زادت حاله الاضطراب فى خلال العامين اللذين أمضيتهما معها ٠٠ كانت مباله بطبيعتها الى مدير « المقالب » والمادى فى العث والمداعبة ، وكاتب ننتابها حالات مفاحته ، وهى حبسا غاضبة تأثره ، وهى حبسا حزينة منقبضة النفس بصعة أيام . تم اذا هى تعود فتنتطلق ، وتتسلف الاشجار ، وتجرى هـا وعناك مى الحديقة الواسعة ، غير حافله بأوامر أحد . أو خاضعة لرغبات أحد ، وتوقفت مس ويليامز برمه قبل أن تستطرد قائلة .

— ٠٠٠ وعندما تبلى الفاة مثل هذه المرحلة ، فان المدرسه خير علاج لها ٠٠ لاسيما اذا كانت البيئه المنزليه غير مناسبة لها ٠٠ فقد كانت مسز كارولين تسرف فى تدليلها والدفاع عن أخطائها ٠٠ وكانت النتيجة أن أصبحت انجيلا ترى من حقها أن تكون لها الاولوبه دائما فى اهتمام أختها وعواطفها ٠٠ ورفض كريل بطبيعة الحال ، هذا الوصف ٠٠ فما من رجل يرضى أن تضعه زوجته فى المكان الثانى بعد أحها ٠٠ وحدث الاحتكاك المنتظر بين كريل وانجيلا ٠٠ فكان سسد فى نعيمها أحيانا ، وكانت ترد عليه العنف بأشد منه ، بل كانت تشتم منه أحيانا بوسائل صبيانبة تفيله ، كأن تضع الخنافس فى فراسه أو ملبسه ، أو شبتا مرا فى شرابه ٠٠ وكانت آخر دعابة تفيله أن وضعت عثر خنافس فى فراشه ، وكان هو يسب من هذه الحشرة أشد الاشمتزاز ٠٠ وقد ثار بطبيعة الحال وأقسم أن يلحقها بـ مدرسه داخلية ٠٠ وثار هـى ، بدورها . على هذا القرار ٠٠ ولكننى تعاونت مع أختها على اقناعها ، وهكذا تقرر أن تلتحق بمدرسه هولتو ٠٠ وهى مدرسه جميله تقع فى الشاطئ الجنوبى ٠٠ ولكن انجيلا ، مع هذا ، ظلت ساخطة ، وكذلك شعرت كارولين بالحزن لمرامتها من رعاية أختها ٠٠ ومما زاد الامر سوءا تلك الحاله التى طرات على العلافه الزوجية بين مستر ومسز كريل

— اتقصدين ظهور الزا جريز على مسرح حياتهما !

— نعم

— ما رأيك فيها ؟

— كانت فناء جريئة وقحة ليس لها مبادئ سامية

- لقد كانت صغيرة ... طائشة ؟
- لا ... كانت في السن التي تجعلها تفهم وتذكر ما يضر وما ينفع ، انني لا ألتمس لها أى عذر
- ولكنه الحب يا مسز ويليامز
- الحب ؟ هل يمكن للإنسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وسنود تصرفاته بالحب ؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجلاً متزوجاً ... وأن تقبل الحياة معه في بيت الزوجية ؟ وأن تتحدى زوجته علناً بقولها انها ستأخذ منها زوجها ؟ ان هذا ليس حباً ... وانما سوء تربية ...
- لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبية لها !
- نعم ... بكل تأكيد ... ولكنها هي المسئولة عن موته ... انني ألتمس العذر كل العذر لمسز كريل ، فأنا نفسي ، كنت أشعر أحياناً بالرغبة في قتل المبستر كريل وحببيته الوقحة ... انني لم أر في حياتي رجلاً يتمادى في تحديه لمُساعِر زوجته المحبة له ، الى هذا الحد ... ان الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل ... وقد نال أمياس جزاءه العادل
- كأنك تشعرين بقدسية العلاقة الزوجية ؟
- فنظرت اليه برهة ، ثم قالت بقوة :
- نعم ... ليس في الحياة ما هو أقدس من الرابطة الزوجية ... ان الاستهانة بها جريمة لا تغتفر لاسيما اذا كانت الزوجة مثفانية
- مثل كارولين — في حب زوجها ... وقد استهان كريل بقدسية الرابطة الزوجية الى حد لم يسبق له مثيل ...
- أنا معك في هذا ... ولكنه كان فناناً موهوباً ...
- نعم ... نعم ... هذا هو العذر الوحيد الذي كان أصداؤه يحاولون به تبرير أعماله ... ولكنني شخصياً أعنقد أن الفن الأصيل يسمو بالفنان الى مراتب السمو والكمال والخلق الكريم ...
- وبعد برهة من الصمت ، قال بوارو فجأة :
- لقد كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت موت زوجها !
- نعم ... لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء ... كانت هي في طريقها الى زوجها لنرى اذا كان في حاجة الى شيء ، وكنت أنا في طريقى الى الشاطئ لابحث عن صديقه صوف لانجلا التي كانت

متعودة على إهمال بعض ملابسها الخارجية في كل مكان ٠٠ وافترقا عند باب حديقة البحر ٠٠ ولكنني ما أن سرت بضغ خطوات حتى سمعت صبيحة مسز كريل ، فعدت اليها بسرعة ، حيث رأيت المستر كريل راقدًا على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتا ٠٠ ميتا منذ ساعة على الأقل

— هل كانت شديده الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها ؟

— ماذا تعنى بهذا السؤال ؟

— انني أريد أن أعرف شعورك الخاص عن هذا الموقف

— آه ٠٠ فهمت ٠٠ أعنفد أنها كانت في حالة ذهول ٠٠ ولكنني

طلبت مني أن أسرع لاستدعاء طبيب ٠٠ فنحن لم نكن طبعا ، واثقين تماما من موته ٠٠ أو ليس لنا الحق في هذه الثقة ٠٠

— وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا ؟

— لا ٠٠ وانما التقت في الممر بالمستر ميرديث بليك ، فكلفني

بالقيام بهذه المهمة ، ثم أسرع عائدة الى مسز كريل ٠٠ ففد خشيت أن نسقط مغمشيا عليها ٠٠

— وهل وجدتتها في هذه الحالة فعلا ؟!

— لا ٠٠ كانت نابتة ٠٠ هادئة تقريبا ٠٠ أثبت وأهدأ بكثير من

الزاجير التي كانت ، حين بلغها السأ ، في حالة عصبية رهيبه حتى كادت أن تقفل كارولين لو أتيحت لها الفرصة

— هل معنى هذا أنها أدركت فوراً أن كارولين هي قاتلة زوجها ؟

ففكرت مس ويليامز برهة ثم قالت :

— لا أظن أنها كانت واثقة تماما أن كارولين سميت زوجها ،

ولكنها ارتابت في هذا فوراً ، وكانت تصرخ في عصبية رهيبه قائلة:

« كل هذا بسبب تصرفاتك يا كارولين ، لقد قتلتني ، والذنب كله

عليك » . ولكنها لم تقل بصريح العبارة : « لقد سمته »

— وماذا كان شعور مسز كريل ؟

— الواقع انني لا أستطيع أن أحدد شعورها تماما في تلك اللحظات،

هل كان العزع الذي سيطر عليها أم الحزن أم الندم

— هل بدا عليها شيء من هذا ؟

— لا أدري تماما ، أنها كانت أقرب الى الذهول منها الى أي شيء

آخر

- حسنا ٠٠ وماذا كان رأيها في مقتل زوجها ؟
- كانت تعتقد . كما ذكرت باصرار في المحاكمة ، أنه انتحر
- هل ذكرت لك هذا حين تحدثت معك على انفراد ؟
- نعم ٠٠ حاولت أن تقنعني بأنه انتحر ٠٠
- وماذا كان رأيك أنت ؟
- هل من المهم أن تعرف رأيي يا مسيو برارو ؟
- نعم اذا سمحت ٠٠
- لقد حاولت أن أوافقها على هذا الرأي ٠٠
- معنى هذا أنك لم تكوني موافقة مطلقا ٠٠
- نعم ٠٠ لم أكن معتقدة أنه مات منتحرا ٠٠ ولكني ، في الوقت نفسه ، كنت أثناء المحاكمة ، في جانب مسز كريل ضد الاتهام ٠٠
- كنت تتمنين أن يحكم ببراءتها ؟
- نعم ٠٠ من صميم قلبي
- كأنك مقدرة شعور ابنها في محاولتها البحث عن الحقيقة ؟
- نعم كل التقدير
- أليك - اذن - مانع في كتابة ذكرياتك عن المأساة في دقة وتفصيل بقدر الامكان ؟
- وهل ستقرأ كارلا هذا التقرير ٠٠
- نعم بالتأكيد
- حسنا ٠٠ اننى لا أمانع ٠٠ ولكن ٠٠ هل هي مصرة كل الاصرار على أن تصل الى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة ، مهما تكن مرارة هذه الحقيقة ؟
- نعم ٠٠ بلا شك !
- اننى متفقة معك في هذا ٠٠ فخير للانسان أن يستريح الى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالالهام ٠٠ وأعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الايام ٠٠
- ولكنها في الوقت نفسه تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها ٠٠
- يا لها من مسكينة . ان الحقيقة ستثبت عكس ما نرجو وتأمل
- أراقة أنت من ادانة مسز كريل الى هذا الحد ؟
- نعم ٠٠ بالتأكيد

- وما رأيك اذا علمت أن مسز كريل تركت لابنتها خطاباً أقسمت فيه ، وهى على فراش الموت أنها بريئة ؟
- لقد أخطأت جداً فى هذا القسم ان مسز كريل دائماً شجاعة ، وصادقة ، وميالة للخير .. وكان الأجدر بها أن تعترف بحقيقة جرمها لابنتها .. فليس ينبغي أن يكون للمواطف مجال فى ساعة الموت ..
- اذن فأنت واثقة تماماً أنها كاذبة فى هذا القسم على براءتها ؟
- كل الثقة ..
- ومع ذلك تقولين انك وقفت بجانبها ضد الاتهام وانك كنت تحبينها ؟
- نعم .. كنت أحبها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأنى واثقة تماماً من اذانة مسز كريل لانى رأيت بعيني ما يثبت الجريمة عليها، ولكننى لم أذكر هذا أثناء المحاكمة ، لان أحدا لم يسألنى فى هذه النقطة



الفصل السابع

انجيلا وارين

كان مسكن انجيلا وارين يشرف على حديقة ريجنت بارك الفاخرة ، وكان الهواء في ذلك اليوم من ايام الربيع ينساب من النافذة الى جوانب المسكن ، رقيقا ناعما منعشا يثير في النفس الشعور بجو الريف ، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور بالشارع

واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع اقدام انجيلا في الغرفة ولم تكن أول مرة يرى فيها انجيلا ، فقد سبق ان استمع الى محاضرة لها في قاعة الجمعية الجغرافية ، وكان قد أعجب بها أعجابا لا حد له . كانت بارعة في الالقاء ، رائعة في التعبير ، ثابتة الاعصاب ، غزيرة العلم ، لا تتردد ، ولا تكرر نفسها ، ولا تعجز عن الاجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة

ولم ير ، اثناء المحاضرة ، الجانب المشوه من وجهها . أما الآن وهو يراها عن كثب ، فقد لاحظ اثر الجرح العميق المعتد من طرف عينيها اليسرى الى نهاية خدها . ولم تكن العين مغلقة ، وانما كانت ، في الظاهر ، تبدو سليمة رغم فقدانها قوة البصر تماما وقد خطر لبوارو ، وهو يرى انجيلا بقامتها الطويلة ، ووجهها الباسم ، وجبينها العريض المشع بالعلم والدكاء ، انها الشخصية الوحيدة التي نجحت تماما في الحياة من بين الشخصيات الخمسة التي شهدت المأساة . لقد نجح فيليب بليك حقا في جمع المال . ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا في الحياة ، أما ميرديث فقد ظل ، كما كان ، جامدا ، لا يتطور مع الزمن ، وكأنما كان يعيش في العصور الماضية . وبدأت الزا جرير حياتها بالجمال والشباب

والمال والحب ، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من أسعد الناس في الحياة ، فإذا بها ، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء . نعم ، فليس هناك من هو أشقى من الإنسان الميت الحي !

أما مس ويليامز ، فقد عاشت ، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة الى عقول التسلايميد ، تعطى في الحياة ولا تأخذ . وقد أخذت منها الحياة كل شيء ، ولم تعطها شيئا

أما انجيلا ، فقد عرفت ، رغم تشوه جانب وجهها ، كيف تظفر بذكاؤها وشجاعته وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء : بالمال ، والشهرة ، والمجد ، والسعادة

ولم يكن الثمن غير هذا الاثر المشوه لجانب وجهها ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة ، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما ألفته

وأدرك بوارو ايضا أن انجيلا ليست من النوع الذي يحتاج معه الإنسان الى اللف والدوران في الحديث ليصل الى غرضه ، ومن ثم تحدث معها بصراحة عن زيارة كارلا لامرشانت له . وعندئذ أضاء وجه انجيلا بابتسامة عذبة ، وهي تقول :

— آه ، كارلا الصغيرة ؟ أهى هنا ؟ أود أن أراها . فما أشد شوقى إليها !

— ألم يكن بينكما اتصال بريدى خلال هذه الاموام الطوال ؟
— اتصال بسيط جدا . فقد كنت ، بعد المأساة ، في مدرسة داخلية خارج البلاد ، وكانت هى في كندا ، ولم نتبادل الا بعض الهدايا البسيطة في أعياد رأس السنة ، وكنت أعتقد أنها ستبقى دائما فى كندا . فانى لا أجد أى سبب يدعوها الى العودة هنا

فقال بوارو :

— نعم . فقد كانت فى جو جديد ، وفى بيئة جديدة ، وتحمل اسما جديدا . ولكن يبدو أن المسألة بالنسبة لها لم تكن فى مثل هذه السهولة !

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشباب الذى يبادلها الحب ، وعن رغبتها فى الوصول الى الحقيقة عن مأساة والديها ، وعن إيمانها العميق ببراءة أمها . وعندئذ قالت انجيلا بحماس :

— اننى اتمنى لها من صميم قلبى أن تنجح فى هذه المهمة .
ويسرنى أن اقدم فى هذا السبيل كل مساعدة ممكنة
— إذن فانت تعتقدين أن هناك احتمالا فى إثبات براءة مسـز
كربل

— اننى شخصا أومن تماما أن كارولين لم ترتكب هذه الجريمة
هذا هو رأى منذ اللحظة الاولى
ففمغم يوارو قائلا :

— انك تدهشينى بهذا الاعتراف يامس وارين ، فان الجميع
يعتقدون غير هذا !

— ان لهم العذر ، فقد كانت الادلة كلها ضد اختى ، ولكنى اعرف
عن يقين أن كارولين لم يكن فى مقدورها أن ترتكب اية جريمة
قتل

— هل يمكن لاي انسان ، أن يشق ثقة تامة بأن اى انسان آخر
منزه عن ارتكاب جريمة قتل ، مهما تكن الظروف والاحوال
— لا يمكن طبعا فى بعض الحالات ، وانا اتفق معك على أن الحيوان
الامى كفيل بارتكاب اية جريمة فى بعض الظروف الخاصة . اما
فى حالة كارولين ، فان لدى من الاسباب ما يجعلنى أومن بأنها
آخر من يرتكب جريمة قتل . وانا افدر هذه الاسباب أكثر من اى
شخص آخر

ثم لمست اثر الجرح العميق على خدها واردفت قائلة :

— اترى هذا ؟ لعلك قد عرفت كيف حدث ؟

ولما أوما يوارو برأسه ، اردفت قائلة :

— ان هذا من صنع كارولين ، وهو ايضا السبب الذى يجعلنى
أومن بأنها لا يمكن أن ترتكب جريمة قتل

— ان بعض الناس يرون انه ، فى الواقع ، الدليل الذى يثبت
استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة

— ولكن الحقيقة هى العكس ، أو ينبغى أن تكون العكس .
حقا أن ممثل الاتهام اتخذ من هذه الاصابة دليلا على تهور كارولين
وعنف طباعها . ان الناس يظنون أن الفتاة التى كادت تقتل اختها
الطفلة بدافع الغيرة ، لا تتردد فى قتل زوجها لهذا الدافع نفسه
ولكن لو حاول هؤلاء أن يحسنوا التفكير لعرفوا أن العكس هو

الصحيح

ization of the Alexander
Alexander

وغمغم بوارو قائلا :

- هذا فضلا عن ان الانسان المتهور السريع الغضب ، لا يلجأ الى السم في ارتكاب جريمته . ان القتل بالسم يحتاج الى تفكير وتدبير وثبات اعصاب . اما المتهور العنيف فانه يحاول القتل باى شيء يقع تحت يده

فلوحت انجيلا بيدها ، وقالت :

- ليس هذا ما اعنيه وان كان لا يعدو الواقع . وانما اعنى شيئا آخر . وسأحاول أن أوضحه لك . لنفرض أنك انسان عادى ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين ، ولنفرض أنك فى سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والاعصاب ، وأوشكت أن ترتكب جريمة قتل أخ صغير أو أخت . اذن فكر فى الصدمة الرهيبة ، وفى الفزع ، وفى الندم الذى يملأ نفسك بعد ذلك . ان مثل هذه المشاعر ، الفزع والندم ، لا يمكن أن تزول من نفس فتاة مرهقة الاحساس مثل كارولين ، مهما مرت الايام ، وأنا لا ازعم انى كنت متأكدة من متاعرها هذه فى تلك الايام، ولكنى وأنا أذكر معاملتها لى بعد اصابتى ، أدرك الآن حقيقة الفزع والندم والالام الذى كان يستبد بها . ان هذا الحادث ، حادث اصابتى على يديها ظل يؤرق نومها ، ويثقل عليها ، ويلون تصرفاتها بلون خاص . انه يفسر موقفها بعد ذلك منى ، وشدة حبه لى ، وفرط عطفها على ، ومبلغ تعلقها بى . كانت تريد أن تعوضنى عن اصابتى بكل شيء . ولو بحياتها اذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببى ، وكنت اشعر بالغيرة منه ، وأدبر له « مقالب » صبيانية سخيفة ، وأذكر انى اختلست يوما مادة تجذب رائحتها القطط ، ووضعتها فى كأس شرابه ، وكذلك وضعت مرة أخرى بعض الحشرات المنفرة فى فراشه . . ومع ذلك كانت كارولين تقف دائما بجانبى

وتوقفت مس وارين برهة قبل أن تستطرد قائلة :

- ولم يكن هذا من صالحى فى شيء بطبيعة الحال ، فقد كان هذا الاسراف فى تدليلى كفيلا بأن يفسد اخلاقى ، ولكن هذا كله خارج عن موضوعنا ، فنحن نتحدث الآن عن كارولين ، وأزيد ان اقول ان النتيجة التى ترتبت على تهورها فى اصابتى ، هى شعور دائم فى اعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل . كانت

كارولين دائما تراقب نفسها بنفسها . كانت في فرع مستمر من أن يتكرر هذا الحادث بصورة أو بأخرى . وقد لجأت في مراقبته نفسها الى وسائلها الخاصة ، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية في أثناء غضبها من شيء . فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق في الالفاظ القاسية ، هو عادة صمام الامن الذي يهدىء من ثورة الغضب المشتعل ، ويحول الرغبة في التحطيم الى مجرد كلمات لا تضر ولا تنفع . لقد أدركت هي ، بالنجربة ، جدوى هذه الوسيلة . أدركت أن العبارات العنيفة التي تطلقها أثناء الغضب . هي صمام الامن لطبيعتها المتدفعة المتهورة ، وهذا هو السبب الذي كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : « سامزك اربا ، واضع لحكمك في زيت مغلى » أو « اذا تماديت في اغضابى فسوف اقتلك حتما » وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجار ، وكانت ترى في شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المتدفعة ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين امياس مشادات عجيبة واحيانا بطريقة

— نعم ، قيل لى انهما كانا يتشاجران كالقطعة والكلب — تماما ، ولكن الشيء الذي لم يفهمه الناس عنهما هو انهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات . نعم ، اننى اذكر هذه الحقيقة كان كل منهما يوجه أثناء الغضب الى الآخر اعنف واقسى العبارات ، ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على السعور الحقيقى الذي يكنه كل منهما لصاحبه . بعض الازواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ، ولكن امياس ، كفنان ، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة ، كان يثيرها ضجة صاخبة حامية اذا فقد مثلا زرار قميصه وكانت هي تكيل له الصاع صاعين ، ثم لا يلبثان أن يهدأ ويتصافيا كأنما أراح كل منهما عن كاهله عبئا ثقيلا أو أفرغ عن نفسه شيئا محبوسا

ولوحت انجيلا بيدها في ضيق وأردفت قائلة :

— لو انهم لم يعدونى عن جو المحاكمة ، لذكرت هذه الحقيقة امام القضاة

ثم هزت كتفيها وعادت تقول :

— ولكنى اعتقد انهم ما كانوا ليصدقوننى . كما انه لم يكن فى مقدورى يومذاك أن اوضح للمسئولين حقيقة الموقف بين الزوجين

كما انهم الآن ... هل تفهم ما اعنى ؟

- تمام الفهم ، ولكن ماذا كان شعورك الخاص في ذلك الحين يا مس وارين ؟

فتنهتد انجيلا وقالت :

- اعتقد ان شعورى يومذاك كان مزيجا من الحيرة والعجز ، كنت في شبه حلم مزعج عجيب ، وانا ارى كارولين مقبوضا عليها بعد ثلاثة ايام من الحادث ، واذكر انى اعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع ، ولكن كارولين نصحتنى بالتزام السكينة والهدوء ، وطلبت من المسؤولين الا يزجوا بى في هذا الامر ، فذهبت الى اسرة صديقة في الريف ، ولما تقرر عدم الحاجة الى سماع شهادتى ، تمت الترتيبات لترحيلى الى مدرسة داخلية في الخارج : في ميونيخ . وقد رفضت الذهاب في اول الامر ، ولكن الجميع اقنعونى ان هذه هى ارادة كارولين ، وان الواجب على ، في مثل هذه الظروف ، ان اعاونها بالطاعة ، فذهبت . وبعد ثلاثة اشهر علمت بمنطوق الحكم الذى صدر عليها . ولما حاولت زيارتها ، رفضت في اصرار ... ولست ادري لماذا

- لانها ارادت ان تجنّبك الالام النفسية ، حين ترين اختك الحبيبة في ملابس السجن
- ربما

ونفضت انجيلا وارين واقفة ، ثم استطردت تقول :

- بعد صدور الحكم باعدامها ، اى قبل تخفيفه الى السجن المؤبد ارسلت اختى الى خطابا خاصا لم اطلع عليه احدا ، ولكنى اعتقد انه لا مانع من ان اطلعك عليه الآن . فآنك بعد ان تقرأه ، ستعرف اى نوع من النساء كانت كارولين ، ويمكنك ، اذا اردت ، ان تأخذه لتطلع عليه كارولا

وغادرت الغرفة ، ثم تلبث ان عادت ومعها خطاب وصورة شمسية . ثم قالت :

- هذه صورتها ، اترأها صورة قاتلة ؟

ونظر بوارو الى الصورة بامعان ، الى الوجه البضاوى والملايح الرقيقة ، والعينين الهادئتين . انه وجه امرأة غير واقعة من نفسها . امرأة قوية العاطفة ، ذات جمال خفى ، ولكن تنقصها قوة الشخصية والحوية اللتين تتمتع بهما ابنتها . تنقصها هذه

الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التى ورثتها كارلا عن
أبيها

وقالت انجيلا :

— أما وقد رايت صورتها ، فاقرا خطابها

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرأ :

« حبيبتي انجيلا الصغيرة

» سوف تسمعين أخبارا سيئة ستحزنك ، ولكننى أريد أن أؤكد
لك أن كل شيء معى كما ينبغي ، اننى لم اكذب عليك يوما ، وأنا
الآن لست اكذب عليك اذا قلت لك اننى فى الواقع سعيدة ، واننى
أشعر باحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة ، لم أشعر به من
قبل . فأكدى يا حبيبتي اننى لست حزينة ، ولا بائسة ، ولانادمة
على شيء ، فلا تحاول أن تعودى بذكريتك الى الماضى ، فتشعرى
بالحزن والاسى من أجلى . انظرى الى الامام ، اهتمى بحياتك
واطلبى النجاح ، وأنا أمرف انك قادرة على النجاح ، وعلى الانتصار
أما أنا ، فسوف أعود الى امياس ، ولست أشك فى أننا سنبقى
معا ، وما كان فى مقدورى أن أستمع فى هذه الحياة الدنيا بدونه .
اننى أرجو منك شيئا واحدا ، وهو أن تكونى سعيدة . وقد قلت
لك اننى الآن سعيدة ، فان على الانسان أن يدفع الثمن ، وان يشعر
فى النهاية بالسكينة والسلام »

وبعد أن قرأ بوارو الخطاب مرتين اعاده الى انجيلا قائلا :

— انه خطاب جميل رائع يا آنسة . خطاب مذهش عجيب

— لقد كانت كارولين حقا شخصية عجيبة مذهشة

— وهل أدركت أن هذا الخطاب يدل على براءتها ؟

— نعم . بلا شك

— ولكنها لم تذكر هذا بصراحة

— لان كارولين لم يخطر ببالها يوما انها مدنية

— ربما . ربما . ولكن يمكن من جهة أخرى أن يدل هذا

الخطاب على انها اذنبت ، ودفعت الثمن . واصبحت فى حالة نفسية
هادئة

فقالت انجيلا :

— لا . اننى واثقة تماما من براءتها

— الله يعلم اننى اتمنى أن تكون ثقتك فى محلها ، ولكن اذا لم

نكن اخنك هى المدنبه ، فماذا حدث حقا ؟

فاومات براسها وقالت :

— هذه هى المتسككة ، واعتقد ان التعليل الوحيد هو ان امياس

مات منتحرا

— ولكن ، هل تعتدين — فى قرارة نفسك — ان امياس من

الاشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار ؟

— انه فى رأى آخر من يفعل هذا ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فلعل

الشخص الذى يبدو للجميع انه محصن ضد الانتحار ، هو اول

من ينتحر فى ساعة ياس . اننا فى الواقع لانعرف عن حقائق النفس

البشرية الا القشور

— اليس هناك اى احتمال آخر فى رايك ؟

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

— اننى افهم ماذا تعنى ، ولكننى فى الواقع لم افكر من قبل فى اى

احتمال آخر . انك تعنى ان شخصا آخر قتل امياس ، قتله

عن عمد وسبق اصرار وبعد تدبير محكم

— اليس هذا محتملا ؟

— ان الاحتمال فى هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره

— اذن ، لنبحث هذا الاحتمال ، ونحاول ان نعرف اى الاشخاص

الخمسة هو اقرب الجميع الى هذا الاحتمال

فصمتت انجيلا برهة اخرى ، ثم قالت :

— حسنا . دعنى افكر . اننى شخصا لم اقتله . ولم تقتله

الزا على وجه اليقين ، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته ، فمن

يتبقى ؟ ميرديث بليك ! ١٠٠٠ لقد كانت دائما كالقطعة الاليفة الهادئة ،

حقا انه كان يحب كارولين فى صمت ، وان هذا الحب يصلح ان يكون

باعنا للقتل ، ولكن ، على هذا الفرض ، لماذا يقتل امياس وهو يعلم

انه سيطلق كارولين وسيتزوج الزا ؟ هذا عدا ان ميرديث ليس

بالرجل الذى يلجأ الى القتل لتحقيق اهدافه . فمن يتبقى بعد ذلك ؟

— فيليب بليك ، ومس ويليامز

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

— كانت مس ويليامز شديدة الحب لاختى ، ولم تكن راضية

يوما عن تصرفات امياس ، ولكن هل يكفى هذا الحب للزوجة ، وهذا

الغفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادئ وأخلاقاً
كريمة الى ارتكاب جريمة قتل ؟!

— أنا شخصياً لا أعتقد هذا

— لم يبق اذن غير فيليب بليك . وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات
فأنا أرى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو اقرب هذه الاحتمالات كلها
الى الصواب !

— لقد أثرت فضولي جداً يا مس وارين . هل يمكن أن أعرف
لماذا ؟!

— اننى لا اعرف شيئاً محدداً عنه ، ولكنى أعتقد مما اذكره ،
أنه شخص محدود الخيال ، ضيق الافق . ومثل هذا الشخص
قد يلجأ الى اقصى الوسائل لتحقيق أغراضه

— وهل كانت لفيليب أغراض خاصة ؟

— اننى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكن الانسان احياناً يذكر
أشياء تعيد الى ذاكرته فجأة أشياء مماثلة . فقد حدث وأنا أقيم
في فندق على ساحل الريفيرا أنى رايت سيدة تخرج في منتصف
الليل من غرفة شاب اعزب لا يمت اليها بصلة قرابة . وقد فوجئت
هى بروئيتى لها . وكانت على وجهها امارات عجيبة . امارات المرأة
التي ضببطت وهى تفادر جلسة غرفة عشيقها . وقد ذكرنى هذا
الموقف بموقف آخر رأيته فى صغرى دون أن أفهم يومذاك معناه ،
ولكننى فهمت هذا المعنى أخيراً

— أى موقف تعنين ؟

فقلت انجيلاً :

— موقف أختى كارولين وهى تخرج فى سكون الليل من غرفة
ثيليب بليك أثناء اقامته فى قصر الدربرى . اننى لم أفهم يومذاك
معنى خروجها من غرفته فى مثل هذه الساعة ، ولكننى فهمته بعد أن
رايت نفس الامارات التى ارتسمت على وجه سيدة الفندق فى
ساحل الريفيرا ، امارات وجه المرأة الخارجة من غرفة عشيقها
— ولكن هذا عجيب يا مس وارين ، لقد فهمت من حديث فيليب

انه كان يكره اختك أشد الكراهية

— نعم ، أعرف ، ولكن هذا ما حدث !

الفصل الثامن

قصة العدو والعاشق

كتب فيليب بليك ما يل عن مأساة أمياس كريل وزوجته :
كانت صداقتي لامياس كريل ترجع الى عهد الطفولة . فقد كان بيت أسرتي قريبا من بيت أسرته في الريف . وكان أمياس أكبر سنا مني بعامين . وكثيرا ما لعبنا معا ، وقضينا الاجازات المدرسية معا رغم اننا لم نكن في مدرسة واحدة . واستطيع أن أقول وأنا جد مطمئن الى هذا القول : « ان ما أعرفه عن أخلاق كريل وطباعه يجعلني أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا » ، لقد كان أشد الناس حبا للحياة ، واستمتعا بها ، واقبالا عليها . كان موفور الشباب والجمال والقوة ، وكان في طريق المجد والشهرة والثراء . فلماذا ينحدر ؟! أينحدر لانه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته ؟! ان هذا الأمر يثير السخرية والضحك . . .

أما زوجته كارولين ، فقد كنت أعرفها منذ صباها . منذ ان كانت تأتي للإقامة مع أقاربها من أسرة كريل . وكانت يومذاك ، فتاة مندفة ، متهورة ، لا تتحكم في أعصابها ، ورغم جمالها وجاذبيتها ، فعذ كانت من الفتيات اللاتي يصعب على الانسان أن يعيش سعيدا بالزواج من احدهن . . .

وقد ألقت شباكما فورا حول أمياس ، ولم يكن هو في أول الامر ميالا اليها ، ولكنه لم يلبث ، بعد أن ألفها ، وخرج معها بمفرده كثيرا ، أن تعلق بها ، فتمت خطبتهما . وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق لهذا الزواج . . . لانه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة الصالحة لامياس . . .

وكان هذا هو السبب في وجود شيء من التفور بين كارولين

وأصدقاء أمياس المخلصين في السنوات الأولى من الزواج.. ولم يكن أمياس بالإنسان الذى يتخلى عن أصدقائه ، بسهولة ، لآى سبب.. وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصدقة الأكيدة أن عادت كما كانت بينى وبينه .. وبدأت أتردد على قصر آلدربرى ، وقد جعلنى هو اشبيننا - والدا روحيا - لابنته كارلا .. ولعل هذا هو الدليل الأكيد على مدى صداقتنا الرائعة ..

ونعود الى المأساة ، فأقول : اننى دعيت للإقامة ضيفا في قصر صديقى كريل بالدربرى قبل وقوع الحادث بخمسة أيام « هكذا جاء فى مفكرتى » أى فى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر . وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين .. فقد كانت مس الزا جرير تقيم أيضا فى القصر .. وكان أمياس مشغولا برسم صورة زيتية لها ..

وكانت تلك أول مرة أرى فيها مس جرير بعد أن سمعت عنها من أمياس .. وقد تبين من الوهلة الأولى أن صديقى غارق الى أذنيه فى حب الفتاة ، وأنها تكاد تلتهمه بعينها من فرط الحب كلما رآته .. وكان الواضح أنها هى التى أوقعت أمياس فى شركها برغم فارق السن بينهما ، وبرغم ثرائها الواسع أما كارولين فكانت غيورا بطبيعة الحال كالمعتاد ، وكانت غرتها الشديدة هى السبب الذى يدفع أمياس الى اللقاء نفسه بين الحين والآخر فى أحضان هذه المرأة أو تلك

والمهم أن الجو كان شديد التوتر .. وأذكر أن أمياس قال لى حين رآنى : « حمدا لله أن جئت يا صديقى ، ان الحياة بين أربع نساء تكفى لان ترسل بالإنسان الى مستشفى المجاذيب »

وكان يقصد زوجته ، والزواجرير ، والمربية مس ويليامز، وانجيلا وارين ..

والواقع أن الجو كان مضطربا حقا .. فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة ، وكانت فى الوقت نفسه تعامل الزوا بطريقة مهذبة ، ولكنها قاطعة كالسيف .. أما الزوا فكانت أكثر صراحة وخشونة فى معاملتها لكارولين .. كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل .. وكانت تعرف أنها دخيلة ، وأنها مخطئة ببقائها فى القصر ، وأنها ستحطم حياة زوجية ، ولكنها

لم تكن مهتمة بشيء من هذا .. لم يكن لديها من التربية العالية ، أو الحسب الرفيع ، أو المبادئ المثالية ما يوقفها عند حدها .. كان همها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين .. وكان أمياس يقضى معها معظم أوقاته ، أثناء رسم اللوحة ، وفي فترات الفراغ .. أما علاقته بانجيلا وارين فكانت تضطرب بين الصفاء ، والمبث الصبياني والمداعبات ، ثم المشاجرات وتبادل الالفاظ الحادة .. ثم عودة الصفاء وهكذا ، حتى قرر في النهاية إلحاقها بمدرسة داخلية .. وأما المس ويليامز ، فكان يقول لى عنها : « هذه المرأة الحيزبون تكرهنى كما تكره الموت .. انها تجلس دائما مزومة الشفتين ، تنظر الى باحتقار شديد ، كأنى حشرة خبيثة ، هذه اللعينة عدوة الرجال » .. ثم أردف قائلا : « اللعنة على النساء جميعا ، اذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام ، فيجب أن يعيش بعيدا عنهن » .. فقلت له : « ما كان ينبغى لك أن تتزوج .. فانت بطبيعتك آخر من يصلح للحياة الزوجية .. »

فقال ان الحديث فى هذا الموضوع جاء بعد أوانه ، وان كارولين سوف تفتبط بالخلاص منه . وكانت تلك أول مرة أدرك فيها أنه ينوى الانفصال عنها ، فقلت له :

«اذن فان علاقتك بهذه الفتاة الحسنة الزا جادة كل الجدهه المرة؟»

فغمغم قائلا : « انها حسنة ! اليس كذلك ؟ اننى أحيانا أتمنى لو انى لم أرها .. »

فقلت له جادا : « اسمع يا صديقى ، ينبغى عليك أن تتحكم فى عواطفك ، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء »
فنظر الى ضاحكا وقال :

« من السهل عليك أن تتحدث وتنصح ، ولكن ليس من السهل على أن ابتعد عن النساء ، وحتى لو ابتعدت أنا ، فانهن لن يتركننى وشأنى »

ثم هز كتفيه وقال :

« على كل حال سوف ينتهى كل شيء على خير ، وستكون ،

الصورة من أروع أعمالى »

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها فى ظهر اليوم السابع

عشر من سبتمبر ٥٥ أى فيل المأساة بيوم ٥٥ كنا جميعا نتساول طعام الغداء ، وكانت الزا توجه الحديث الضاحك العابت الى أمياس فقط ، وكأنا غير موجودين معها ، وكانت كارولين توجه الينا حديثها الناعم الملقوف الذى تبدو كلماته عادية ، ولكنها تقطع كالسكين وهى تتحدث بطريقة غير مباشرة عن « استهتار » بعض الفتيات، وعن « الاصل الحقيقى » الذى يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء ٥٥

وانتقلنا بعد طعام الغداء الى قاعة الاستقبال ، وهناك أعربت عن اعجابى بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول ، فقالت كارولين بهدوء :

« انها صناعة مثال نرويجي شاب، وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته ٥٥ وأعتقد أننا سنزوره حين نغضى جانباً من فصل الصيف الآتى فى النرويج »

وكان هدوء حديثها وما ينم عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس ، أكثر مما تطبق الزا التى ما كانت لتقبل أن تهزم فى أية محادثة ، ومن ثم قالت بعد فترة صمت :

« يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الأشياء السمجة التى لا معنى لها ٥٥ وأعتقد اننى حين أقيم هنا ، سأزيل منها كل السخافات والتفايات ، وسأضع على النوافذ أستاراً فى لون النحاس ، فإذا انعكست عليها أشعة شمس الاصيل ، بدت فى لون الذهب ٥٥ فيما رأيك يا مستر فيليب بليك ؟ »
وقبل أن أجيب ، قالت كارولين بصوت ناعم ، ولكنه أحد من السيف :

« هل تنوين شراء هذا القصر يا الزا ؟ »

فقالت الزا : « ليس من الضرورى أن أشتريه لكى أقيم فيه »
فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للفرقة هذه المرة : « اذن ماذا تعين ؟ »

فضحكت الزا بوقاحة وقالت : « هل من الضرورى يا كارولين أن نطاهر بالغباء ؟ أنت تعرفين تماماً ما أعنى »

« وإذا كنت لا أعرف ؟ »

« لا تكونى كالنعامه التى تخفى رأسها فى الرمال ؟ أنت تعرفين

حبدا أننى أنبادل الحب مع أمياس ، ولبس هذا فصرك ، واما قصره .
وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه »

« يبدو أنك مجنونة يا الزا »

« لا يا عزيزتى ، انسى عاقلة جدا، ويحسن بك أن تعترفى بالواقع ،
وتحررى أمياس من قيد الزواج بك »

« اننى لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين .. »

وفى تلك اللحظة ، دخل أمياس الغرفة ، فقالت لها الزا :

« اذا كنت لا نصدقين ، فهذا هو امياس .. اسأليه .. »

فقالت كارولين لامياس :

« أمياس ، الزا تزعم أنك سنتزوج بها ، فهل هذا صحيح ؟ »

فاضطرب امياس المسكين ، وبدا كالسمكة فى الشبكة ، ثم التفت
الى الزا وقال بعنف :

« ما معنى هذا بحق الشيطان ؟ الا تعرفين كيف تمسكين
لسانك ؟ »

فقالت له كارولين : « اذن فالامر صحيح ؟ »

فقال وهو يزداد اضطرابا : « اننى لا أريد أن أناقش هذا الموضوع
الآن »

فقالت كارولين : « ولكنى أريد مناقشته فورا »

فتدخلت الزا فى الحديث ، قائلة : « أعتقد يا أمياس أن من حق
كارولين أن تعرف الحقيقة »

فقالت كارولين بهدوء : « أحقا هذا يا أمياس »

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بخرج الموقف ، أردفت هى
قائلة :

« أرجو منك أن تصارحنى ، فمن حقى أن أعرف »

فقال فى صوت الانسان الذى لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة:

« نعم ، ان ما تقوله الزا صحيح ، ولكنى لا أريد أن أناقش الأمر
الآن .. »

ثم غادر الغرفة ، وغادرتها أنا ورائه ، لانى أبيت أن أبقى فى ذلك

الجو المضطرب مع المراتين ، وفي الشرفة، سمعته يسب ويلعن بعنف
ثم قال لي :

« لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى أفرغ ، على
الأقل ، من رسم اللوحة ؟ انها اللوحة يا فيليب هي التي تهمني
الآن .. انها أروع انتاج فني .. انتى لن أسمح لامراتين غيورتين
أن تحرمانى من إتمامها »

ثم هذا فجأة ، وقال : « ان النساء عموما حمقوات ، لا يفهمن
شيئا » فقلت له باسم :

« ولكنك أنت الذى جلبت على نفسك هذا كله يا صديقى »
« انتى أعرف .. ولكن يجب أن تعترف أن أى انسان كليل
بالوقوع فى غرامها اذا سمحت له هذه الشيطان الحسناء ، بل أن على
كارولين أيضا أن تلتمس لي العذر »
« ولكن ، لا تنس واجبك يا أمياس نحو ابنتك الطفلة »

فأمسك بذراعى وقال :

« أنا أعرف أنك تريد لي الخير يا فيليب ، فأرجو أن تخفف من
تأنيبك لي ، انتى أعرف كيف أسوى أمورى فى النهاية ، وثق أن كل
شئ سينتهى على خير »

هكذا كان أمياس .. متفائلا دائما .. مبتهجا أبدا
ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا .. ولكنى أذكر أن كارولين
أقبلت الى الشرفة وهى أتم ما تكون هدوءا وثباتا ، وقالت لامياس
بصوت عادى :

« هلم استعد للذهاب الى ميرديث ، لا تنس أنه دعانا لشرب
الشاي فى بيته بعد ظهر اليوم »

فنظر اليها أمياس دهشا ثم قال متلعثما :

« نعم .. نعم .. لقد نسيت .. ولكننا سنذهب طبعاً .. »

ولما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج ، التقطت كارولين
بعض الأزهار من أنية الزهور بالشرفة ، واستندارت الى ، وراحت
تتحدث .. وتحدثت طويلا عن الجو .. وعن احتمال الذهاب معا الى
صيد السمك اذا ظل الجو صافيا هكذا .. وقد عجبت لهدوئها
المفاجيء ، وتوجست شرا ، وكان ينبغى فى تلك اللحظة أن أكون على

حذر ، وأن أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضى على أمياس ، وإن هذا القرار هو سر هبوطها المفاجيء . فقد كنت دائما أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحسانا ، ولكننى ، بحماقتى ، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع ، وأنها سوف تستسلم لنصيبها فى الحياة



وأقبل الجميع بعد ذلك .. الزا فى تحد وانتصار .. ولكن كارولين لم تحفل بها ، وأنقذت انجيلا الموقف بمناقشتها مع المس ويليامز بشأن الجولنة ، قائلة : « أنها لن تغيرها ، لأن ميرديث « المعجوز » لن يلحظ أنها فى حاجة الى كى » ، ومضينا فى الطريق الى أخى ميرديث .. كارولين وانجيلا فى المقدمة ، وأمياس وأنا ، ثم الزا بمفردها .. تسير شامخة الرأس .. بأسمة !

ووصلنا الى بيت ميرديث ، ولست أذكر شيئا من الحديث الذى دار أثناء تناولنا الشاي ، ولكننى أذكر أن ميرديث ، وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين كارولين وأمياس ، انفردي بعد الفراغ من الشاي وقال لى :

« اسمع يا فيليب .. مستحيل أن يفعل أمياس شيئا من هذا »
« تؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة فى أقرب فرصة »

« ولكن .. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتاة تصغره بعشرين عاما ؟ »

« لا تنزعج من هذه الناحية .. ان الزا تعرف تماما ما تريد .. وسوف تظهر به »

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد . وكنت أعرف أن كارولين ، بعد طلاقها ، سوف تتزوج من ميرديث الذى ظل مخلصا لحبها كل هذه السنوات .. والعجيب اننى لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث فى غرفة العمل .. فقد كنت دائما أضيع بحديث ميرديث عن هوايته فى استخراج العقاقير من النباتات الطبية ، ومن ثم رقت معهم مستغرقا فى أفكارى الخاصة ، ولهذا لم أر كارولين وهى تختلس كمية سم الكونين ، ولكننى أذكر ان ميرديث ، بعد مغادرتنا غرفة العمل الى غرفة المكتبة ، قرأ لنا فضلا ممتعا رائعا عن مأساة سقراط ،

واللحظات الاخيرة من حياته بعد أن أعطى كأس سم الكونين ليشربه
وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة ، ولكنى
أذكر أن انجيلا تشاجرت بعنف مع أمياس قبل أن تأوى الى النوم
بشأن قراره لاحاقها بمدرسة داخلية . وأذكر اننا ابتسمنا اسد
المشاجرة الصبيانية ، التى انتهت من توتر الجو المنزلى ، ربما آثار
ضحكنا ، أن انجيلا قالت لامياس ، قبل أن تفر باكية الى مخدعها ،
أنها أولا : ستعرف كيف ينتقم منه ، وثانيا : تمنى لو أنه مات ،
وثالثا : ترجو ان يموت بالجدام ، ورابعا : تأمل أن تلتصق بأنفه
قطعة سحج ولا تنتزع منه ابدا ، كما جاء فى القصة الخرافية !
ولما ذهبت ، ضحكنا جميعا لهذه « التشكيلة » المنتقاة من الدعوات
وأسرعت مس ويليامز وراء تلميذتها لتهديء من ثورتها ، وغادرت
كارولين الغرفة الى مخدعها ، ومضى أمياس والزوا الى الحديقة، أما أنا ،
فقد سرت بمفردى فى سكون الليل ...

وفى اليوم التالى ، هبطت الى قاعة الطعام فى ساعة متأخرة من
الصباح ، ولم يكن بها أحد ، فتناولت الافطار بمفردى ، وتجولت
قليلا ، ورأيت مس ويليامز تبحث هنا وهناك عن انجيلا التى هربت
منها حتى لا تخطئ جونلتها بنفسها .. ثم عدت الى صالة الطابق
الاول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين أمياس وزوجته
فى غرفة المكتبة ، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد :

« هكذا أنت دائما مع نساءك ، لسوف أقتلك فى يوم ما »
وسمعت أمياس يرد عليها فائلا : « لا تكونى حمقاء يا كارولين »
فقالت : « بل اننى أعنى ما أقول »

ولم أشأ أن أسمع أكثر من هذا ، فغادرت الصالة الى الشرفة
الكبيرة ، حيث رأيت الزوا جالسة على مقعد مستطيل نحت نافذة غرفة
المكتبة مباشرة .. وكانت النافذة مفتوحة ، ولهذا أعتقد أنها سمعت
كل كلمة دارت بين الزوجين . ولكنها حين رأتنى ، نهضت مسرعة ،
وأقبلت نحوى باسمه ، وتناولت ذراعى ، وقالت ان الجو فى ذلك
اليوم جميل .. فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم .. تتغزل فى جمال
الجو بينما الحصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر .. وبقينا فى
الشرفة بضع دقائق نتحدث ، ثم اذا كريل يقبل نحونا مضطرم
الوجه ، ويمسك بكتف الزوا فى شىء من العنف ويقول لها : « هلم ..

فقد آن وقت الرسم .. انه، أريد أن أفرغ من الصورة اليوم ،
فقلت له : « حسنا ، لسوف أتى بسنرتى الصوفية لضعها على
اكتافى ، فان الهواء فى حديقة البحر بارد .. »
ولما دخلت القصر ، قال أمياس لى : « هؤلاء النساء .. »

ولم يزد .. وبقينا صابتين حتى عادت الزا ، ومضت معه الى
حديقة البحر ، ودخلت أنا الى القصر ، ورأيت كارولين واقفة فى
الصالة فى شبه ذهول ، حتى خيل الى أنها لم ترنى ، وانما سمعتها
تقول بوصوح : « يا للقسوة .. يا للاستهتار »

ثم صعدت الى الطابق الثانى دون أن يبدو عليها أنها رأتنى أو
شعرت بى ، وكأننا هى مشغولة الذهن بتدبير شىء .. وأعتقد « وان
كان ليس من حقى أن أقول هذا » أنها صعدت لتحضر السم الذى
قررت أن تقتل به زوجها .. وفى تلك اللحظة ، دق جرس التليفون ،
فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم ، وانما تناولت السماعة ، فإذا
أخى ميرديث يخبرنى بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله ..
ولست بحاجة لأن أعيد ما قلته بهذا الشأن ، وانما يكفى القول أنى
طلبت من ميرديث الحضور فوراً ، وذهبت الى شاطئ الخليج لالتقى
به ، ومررت فى طريقى بسور حديقة البحر حيث سمعت أمياس
والزا يتبادلان الحديث فى بهجة وانطلاق ومرح .. وكان أمياس يقول
ان الجو فى ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر ،
وقال له الزا ان الهواء البارد الذى يهب عليها من البحر جعل
عضلاتها تنبیس وهى جالسة أمامه بغير حراك ، وأردفت قائلة : « ألا
يمكن يا حبيبى أن تدعنى أستريح قليلا » وسمعت أمياس يصيح بها
« لا لا .. أبقى كما أنت .. فأننى أسير سيرا حسنا فى اللوحة ،
وأؤكد لك انها ستكون رائعة .. لا تقطعى حماسى للعمل .. »
وسمعتها تضحك فائلة « يا لك من وحش قاس »



ووصلت الى شاطئ الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق
وشرعت أتحدث معه بشأن السم المسروق ، ولما تأكدت تماما من أن
كمية من سم الكونين سرفت حقا من معمله ، قلت له لابد أن تكون
كارولين هى السارقة حتى تعضى على الزا وتحفظ بزوجها ، ولكن
ميرديث أبى أن يصدق أن نهبط كارولين الى حد ارتكاب الجريمة ،

وان من المرجح أن تكون الزا هي السارقة ، وهكذا بقينا نتجادل ، ثم قررنا أن نتحرى الأمر في روية وهدوء ، وأن ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين والزا لمحاولة استدراجهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل . وكنا نتحدث في هذا الامر ونحن صاعدان في الممر الى القصر ، ولما اقتربنا من سور حديقة البحر ، سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة ، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها : « انك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي » ثم اذا باب الحديقة يفتح ، وتخرج كارولين مضطربة الوجه ، ثم تبتسم لنا وتقول انها كانت تتناقش مع أمياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة ، وأنه مصر على رايه ، وفي تلك اللحظة ، أقبلت الزا من ناحية القصر حاملة في ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الاحمر ، فلما رآها أمياس ، قال لها : « هلم عودي الى مكانك لاواصل الرسم ، فاني لا أريد أن أضيع الوقت »

وعاد هو الى حامل الرسم ، وقد لاحظت أنه يسير مترنحا بعض الشيء ، وخطر لي أنه أسرف في الشرب ، واذا كان قد أسرف ، فله العذر ، فليس هناك من يستطيع أن يحتمل كل هذه المشكلات دون أن يستعين ببعض كؤوس من الخمر !

ثم سمعته يقول متأففا :

« لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلوجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق »

فقال له كارولين « لسوف آتى اليك بزجاجة من ثلاجة القصر »

فغمغم أمياس قائلا : « شكرا . . »

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا الى القصر ، وهناك ، دخلت هي ، وجلست أنا مع ميرديث في الشرفة ، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا انجيلا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، وفيما نحن نشرب ، رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلوجة قائلة أنها ستحملها الى زوجها ، فمض عليها ميرديث أن يمضي بها الى أمياس بدلا منها ، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته . وقد خطر لي ، لحماقتي ، أن اصرارها هذا يرجع الى شدة غيبتها ، والى رغبتها في أن تفاجيء زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بالزا في

حديقة البحر ، ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة فى مناقشة موضوع الحاق انجيلا بالمدرسة ..

وسارت منحدره فى الممر المتعرج ، وراقبها ميرديث برهة ، أما انجيلا فقد كانت تلح فى أن أصبحها للسباحة فى البحر ، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضوع اختفاء سم الكونين « لسوف نواصل الحديث فى الموضوع بعد الغداء »

وقضيت فترة طيبة فى السباحة مع انجيلا وأنا أقرر فى أعماق نفسى أن أتحدث ، بعد الغداء ، مع كارولين فى موضوع السم المختفى ، ذلك أنى كنت انتهيت حينذاك الى أنها هى التى سرقت كمية السم ، وأنه ليس هناك ما يدعو الزا الى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة بأنها هى المنتصرة فى المعركة ، وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها ..

وسمعنا رنين جرس الغداء ، فانطلقت مع انجيلا مسرعين الى القصر ، وهناك وجدنا الجميع ، فيما عدا أمياس الذى قال أنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة ، جالسين الى مائدة الطعام ، وفرغنا من تناول الغداء ، وجلسنا نشرب القهوة فى الشرفة ، وانى أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين فى تلك الفترة ، وأنه من العجيب أن أذكر أنها كانت فى حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات وجلا .. زوجها .. وأبا .. وانى ، لهذا السبب ، لآزداد شعورا بالحق عليها والكراهية لها .. فلو أنها قتلت أمياس بمسدس فى ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر ، أما أن تدبر مقتله بالسم، ثم تتناول الغداء بهدوء ، بل وبشمية ، ثم تجلس معنا فى الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد ، أو يطرف لها جفن ، أو يشحب منها وجه ، فهذا ما لا يقدر عليه الا شيطان فى صورة امرأة ..

ونهضت أخيرا ، وقالت بهدوئها القاتل : « أنها ستحمل القوة الى أمياس » ستحملها إليه وهى موقنة تماما أنه ميت .. !! وذهبت معها مس ويليامز لتبحث عن صديريه صوف نسيتهما انجيلا على الشاطئ ، وبعد اختفائهما فى الممر ، نهض ميرديث ، وسار وراحماء ، وفيما أنا أهم بالحاق به بعد أن أعترز لالرا ، اذا هو يعود مهرعا مضطربا يقول :

« يجب استدعاء طبيب حالا .. ان أمياس .. فى حالة خطرة »

فوثبت واقفا وهتفت « ماذا به .. مات ؟! »
فقال ميرديث « نعم .. »
وعندئذ دوب صيحة مفزعة رهيبة أطلقتها الزا ثم
قائلة :

« مات .. مات .. مات ..!! »
وانطلقت تعدو بسرعة عجيبة ، كالغزال المجريح ، أ
والانتقام .. وقال ميرديث لاهتا :
« أسرع وراءها .. أسرع .. فلا يدري أحد ماذا
هذه الفتاة .. ولسوف استدعى طبيبا بالتليفون حالا
وأسرت وراءها وأعتقد أنني لو لم ألحق بها ،
بيديها .. فأنا لم أر في حياتي امرأة على مثل هذا
والثورة والرغبة في الانتقام ، كانت امرأة سوقية عن
حبيبها بالموت .. ولو أتاحت لها الفرصة لمزقت
بأظافرها ، ولا نشبت أسنانها في عنقها ، ولا لقت بـ
الحديقة الى البحر .. واستطاعت مس ويليامز بحزمها
ثورتها ، وهذأت الزا أخيرا . ووقفت ترتعد وتلهث و
أما كارولين ، فقد وقفت ثابتة . هادئة . ويمكن
أيضا .. ولكنني أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقا ، واذ
تتمنان عن هذا الدهول .. والخوف ..

وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها بصوت خا
« أيتها القاتلة الملعونة .. كيف تقتلين أحب أصدا
فتراجعت في فزع وقالت :

« لا .. لا .. لا .. انه قتل نفسه »

فنظرت في عينيها طويلا وقلت :
« قولي هذا لرجال البوليس .. ان أحدا لن يصدق
وقد قالت هذا .. ولم يصدقها أحد .. »



ودعيت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها : « اينها
القاتلة الملعونة ... كيف متلبن احبا صديقي؟... »

الفصل التاسع

اعتراف الحبیب الهارى

وكتب ميرديث بليك يقول عن المأساة :
 اننى شخصيا لازلت اعتقد ان أمياس كريل مات منتحرا .. ولا
 تسألنى لماذا أو كيف ، فانى لن أومن فى يوم من الايام أن كارولين
 ارتكبت جريمة قتل . وكذلك ليس هناك أى دافع يبرر قتل
 أمياس على يد واحد من الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين
 اثناء وقوع المأساة . وأيا كان الامر ، فانى سأسرد الحقائق كما
 اذكرها ..

أذكر أولا هذه المحادثة التى دارت بينى وبين كارولين قبل المأساة
 ببضعة أسابيع ، اى عند ما قامت الزا جرير بزيارة أمياس فى قصره
 اول مرة . وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبلها، واستعدادى
 للتضحية بشانها ، وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنها
 وتخفيف احزانها . وقد دهشت حين سالتنى فجأة هل اعتقد ان
 أمياس يحب تلك الفتاة حقا ، فقلت :

« اعتقد انه مهتم فقط برسم لوحة فنية لها »

« لا .. لا .. يل انه يهيم بها غراما »

« انها جميلة وجذابة .. هذا صحيح .. ولكننى أعرف باكارولين

أن أمياس ، برغم علاقاته المتعددة بالنساء ، لا يحب أحدا غيرك ..

انت فقط ياكارولين التى تملئين قلبه وحياته »

« هذا ماكنت اعتقده دائما .. »

« وحتى الآن .. »

فهزت رأسها وقالت :

« ولكننى خائفة يا ميرديث هذه المرة . نعم خائفة ... ان الفتاة

تحت أمياس حبا حقيقيا .. هذا ما أشعر به ، وأنها لتسابه . ومتفانية
في الحب . ويبدو أنه الحب الأول الحقيقي في حياتها . ولهذا أشعر
أن الأمر : هدد المرة ، جد وخطر .. »

ثم أردت قائلة : « اننى فى الرابعة والثلاثين من عمري ياميرديت ،
وقد تروجت بأمياس منذ عشرة أعوام .. ولكننى لا أكاد أذكر -
من ناحيه الجمال والجاذبية - مع هذه الفتاة التى تتمتع بكل شيء ..
بالنسب والجمال والمال والعاطفة الثائرة .. »

فعلت لها : « ولكن أمياس ، مع هذا ، لا يطبق الحياة بدونك
يا كارولين ؟ »

فقلت وهى ترسل ضحكة خفيفة مريرة :
« هل يمكن لاية امرأة أن تثق دائما فى أى رجل ؟ ! اننى ياميرديت
امرأة بدائية ، وأتمنى لو استطعت أن أقرر بطن هذه الفتاة .. »

فقلت لها : « ان الامر كله لن يعدو أن يكون نزوة عابرة بين أمياس
والزنا .. وان كلا منهما لن يلبث أن يفتح عينيه على حقائق الحياة ،
وان يبتعد فى النهاية عن الآخر .. »

وحولت هى مجرى الحديث .. ولم تلبث الزا بعد تلك الزيارة
الاولى أن عادت الى العاصمة ، ولحق أمياس بها حيث قضى معها
فى العاصمة بضعة أسابيع ، ثم نسيت أنا تقريبا كل شيء عن الموضوع
الى أن سمعت ان الزا عادت مرة أخرى للاقامة مع أمياس فى قصر
الدبرى ، وذلك لكى يفرغ من رسم اللوحة التى بداها أثناء
زيارتها الاولى . واذكر اننى حدثتك بما دار بينى وبين أمياس ،
ثم الزا من حديث فى هذا الموضوع ، ولكننى لم أستطع أن أبادل
الحديث على أفراد مع كارولين الا فترة وجيزة ، وذلك حين قالت
لى ان كل شيء بالنسبة لها قد انتهى .. وأنها هى قد انتهت أيضا .
ولهذا اعتقد تماما أنها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتى
الحمقاء عنه ، لا لتقتل به أحدا ، وإنما لتنتحر به ، ولكن يبدو لى أن
أمياس اكتشف هذه الحقيقة .. اكتشف أن زوجته استولت على
كمية من مخدر سام لتنتحر ، فاستيقظ ضميره ، وقرر أن ينتحر
هو بدلا منها .. لماذا ؟ لانه رأى نفسه بين امرين أحلاهما مر .. فهو
لا يستطيع الحياة بدون الزا بعد أن تمكن حبها من قلبه ، ثم هو لن
يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها الى الانتحار بعد أن رأى

بنفسه عزمها عليه ، فماذا يفعل ؟ ! لم يكن أمامه الا أن يريح نفسه بالموت... ولكنه لم ينتحر الا بعد أن فرغ أو كاد من رسم اللوحة التي كان يهتم بها في ساعاته الاخيرة اشد الاهتمام

وانا اعترف طبعاً ان في هذه النظرية تغرات كثيرة .. فمثلاً لماذا لم نجد على زجاجة الكونين في غرفة نوم كارولين غير بصمات أصابعها ؟ هل يمكن أن تكون بصمات امياس قد أزيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ، ثم ارتسمت بصمات أصابع كارولين عليها حين أسرعت بعد وفاة امياس لترى ماذا حل بالزجاجة ؟ .. ربما ..

ولعل موقف كارولين اثناء المحاكمة يؤيد نظريتي هذه بعض التأييد .. فقد أدركت انها هي التي دفعت بزوجها الى الانتحار ، وانها هي التي أعدت له المادة السامة التي انتحر بها ، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن ، وأن تلحق به ..

أما عن مساعري وتصرفاتي الخاصة ، فاقول اني نمت مضطرباً بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاي في بيتي .. نمت مضطرباً بعد أن حاولت أن أفكر في وسيلة أو في أخرى انقلد بها الموقف بين كريل وزوجته . واستيقظت في الصباح الباكر في نحو السادسة ، وشربت الشاي ، ولكنني وجدت راسي ثقيلة بسبب اضطراب نومي، فنمت مرة أخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، وعندئذ شعرت كأن شخصاً يتحرك في الغرفة التي تقع أسفل غرفتي مباشرة .. وهي غرفة المعمل ، واستطيع القول هنا ان هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطعة الى المعمل ، لانني حين ارتديت ملابسى وهبطت الى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحي الخاص ، وجدت اني أهملت في اليوم السابق اغلاق النافذة كما ينبغي .. ومصرع النافذة كما تعلم من النوع الذي يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق .. وقد وجدت ثمة فتحة في النافذة تكفي لادخال قطعة .. وفيما انا اطوف بنظرائي في جوانب المعمل ، لاحظت ان زجاجة الكونين بارزة قليلاً عن صف الزجاجات فوق الرف ، فلما رفعت يدي لأعيدها الى مكانها ، رايت ، لفرعى ، أن الكمية التي بها أقل من النصف ، رغم انها كانت في اليوم السابق ممثلة تماماً ، وشعرت أولاً بالاضطراب ، ثم بالخوف ، ثم بالفرع .. ورحت استجوب الخدم في عناية ، ولكنني ايقنت أن احداً منهم لم يدخل غرفة المعمل ..

واخيرا اتصلت تليفونيا بأخى فيليب أسأله النصيحة ، فطلب منى ان اسرع اليه لاتبادل معه الحديث فى هذا الامر الخطر .. وفيما انا فى طريقى الى الخليج لاستقل الزورق ، رايت مس ويليامز تبحث عن تلميذتها انجيلا الهاربة منها .. والتقيت بفيليب فى الجانب الآخر من الخليج ، وسرت معه صاعدين فى الممر المتعرج الى القصر ، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر ، سمعت أمياس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع ، وكأنهما يتشاجران ، وقد فهمت من العبارات الاخيرة أن كارولين تتهمه بالقسوة على الفتاة ، وأنه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى ، وأنها لابد أن ترحل ، وفجأة فتش باب الحديقة وأقبلت كارولين مضطربة ، ولكنها ابتسمت حين راينا وقالت انها كانت تتناقش مع أمياس بخصوص انجيلا والحقا بالمدرسة . وفى تلك اللحظة أقبلت الزا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الاحمر ، فهتف بها أمياس لكى تسرع وتجلس فى مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وواصلنا نحن السير فى طريقنا الى القصر



وجلست مع فيليب فى الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث فى موضوع السم المخفى ، ثم أقبلت انجيلا تحمل الينا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، فسألتهما عن السبب فى هروبها من مس ويليامز ، فقالت انها كانت تسبح ، وأنها لاتجد سببا يدفعها الى خياطة جونلتها القديمة مادامت ستظفر بملابس جديدة عند التحاقها بالمدرسة . وراينا كارولين وهى تحمل زجاجة بيرة مثلجة الى زوجها ، ثم ذهب فيليب مع انجيلا للسباحة ، ولما بقيت بمفردى ، نهضت وسرت الى الهضبة الصغيرة التى تشرف على حديقة البحر ، وجلست على مقعد خشبى مستطيل أتسلى بالنظر - من بعيد - الى أمياس وهو يرسم الخطوط الاخيرة لالزا التى كانت جالسة على سور الحديقة فى الوضع المناسب .. وكانت تضع على كتفها المعطف الصوفى الاحمر لتحتمى به من هواء البحر البارد ، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ، وصوتها ينساب رنانا بالبهجة وهى تتبادل الحديث مع أمياس عن المستقبل الباسم الذى ينتظرهما معا ..

وارجو الا يخطر ببال احد انى كنت استرق السمع .. لا .. فقد كانت الزا ترانى من مكانها ، وقد لوحى لى بفراعها قائلة ان امياس شديد القسوة عليها فى هذا الصباح ، وانه يرفض ان يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة .. ودمدم امياس قائلا انه ايضا يشعر بتيبس فى عضلاته ، وانه يخشى ان يكون قد أصيب بروماتزم عضلى ، فداعبته الزا بقولها : « يالك من رجل عجوز مريض » ورد عليها بقوله « انك ستتزوجين من رجل مقيد بالروماتزم »

وقد امضى وصدمنى حديثهما هذا المرح عن مستقبلهما ، دون ان يهتم فى قليل او كثير بآدم كارولين وأحزانها .. ولكنى لم انح باللائمة على الزا .. فقد كانت طفلة .. فى نحو العشرين من عمرها . خافقة القلب بالحب ، سعيدة بالحياة ، مفتونة بسحر جمالها ، غير مدركة بحقيقة الموقف او بقسوة الآلام التى تسببها للغير .. انها فى الواقع لم تكن ترى فى الوجود احدا غيرها وغير امياس ..

وكان الحديث بينها وبين امياس متباعد الفترات .. فبعد كل خمس أو عشر دقائق تتحدث بشيء ، فترد عليها ، فمثلا قالت له : « اعتقد انك محق فى رأيك عن اسبانيا .. نعم .. انها خير مكان شاعرى لقضاء شهر العسل .. ولكن لانس ان تأخذنى وتفرجنى على حفلة من حفلات مصارعة الثيران .. لاشك ان مثل هذه الحفلات مشيرة للمشاعر ، وانا ارجو الا يموت الثور فى الحفلة التى سأحضرها ، وانا الميتادور .. وانى لافهم الآن كيف كانت مشاعر نساء روما القديمة وهن يرين المصارعين يموتون .. فان الرجال كثيرون ، ولكن الحيوانات المدربة قليلة .. »

واعتقد انها هى نفسها كانت كحيوان جميل .. بدائى المشاعر ، قليل التجارب ، عديم التفكير .. نعم .. كنت أعتقد انها لم تكن تعرف كيف تفكر .. وانما تعرف كيف تشعر فقط ..

ورن جرس الغداء ، فهبطت من الهضبة والتقيت بالزا عند باب الحديقة ، وكان امياس متهاككا على المقعد المستطيل بجانب لوحة الرسم ، فظننته ؛ كالمتاد ، يستريح أو يستلهم الوحى . اذ انى كثيرا ما رايته على مثل هذه الحال .. وقد قالت لى الزا حين نظرت اليها مستغفرا : « انه لن يذهب معنالتناول الغداء » فقلت فى نفسى

«خير افعل» وكان هو ينظر الى نظرات غريبة عجيبة كأنما يريد ان يقول شيئا ولكنه لا يستطيع ، ولم اكن ادري ان المسكين في تلك اللحظة كان يحتضر ، وان الشلل كان يسرى في كل عضلات جسمه حتى لسانه .. وهكذا تركته مع الزا ونحن نقطن انه بخير ، وأنه لن يلبث ان ينهض ويستأنف العمل في اللوحة .. وكانت الزا المسكيننة تثرثر معي وتضحك وهي لا تدري أنها لن ترى حبيبها مرة أخرى الا جثة هامدة

وكانت كارولين طبيعية هادئة اثناء تناول الغداء وبعده .. وهذا ما يجعلني شديد الثقة ببراءتها .. فلا اظن أنه يوجد في الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهي تعلم ان زوجها يحتضر بالسقم الذي دسسته له .. لا .. هذا في رأيي مستحيل

ولما اكتشفت بنفسها الوفاة ، بدت لي كأنها ذاهلة من فرط الصدمة .. اما الزا ، فكانت كالوحش الثائر الذي اختطفت منه طعامه وهو أشد مايكون جوعا .. وقد كادت أن تنفك بكارولين بعد ان اتهمتها بقتل امياس لولا ان تدخل فيليب في الامر ، كما قال لي ، وتعاون مع مس ويليامز على تهدئة ثائرتها

واذكر ان كل ماحدث بعد ذلك كان كالكابوس المزعج الرهيب .. فقد جاء الطبيب ، ثم رجال البوليس ، ثم مندوبو الصحف والمصورون واصبح المكان كخلية نحل هاجمتها اسراب من « الدبابير »
نعم .. كان كل شيء بعد ذلك مثل كابوس رهيب ..

واعتقد ان هذا الكابوس لا يزال مخيما على حياتنا رغم مرور كل هذه الاعوام ..

اننى اسأل الله أن يحقق لكارلا الصغيرة املها في الوصول الى الحقيقة الكاملة ، فانها سوف تنسى كل شيء حين يطمئن قلبها الى حقيقة ماحدث

اما انا ، فلا زلت أعتقد ان امياس مات منتحسرا ، ولا تسألني لماذا ... فان كثيرا من الناس يرتكبون اشياء لم تكن متوقعة منهم .

الفصل العاشر

قصة غرام

... وهذه هي رواية الليدي دنتشام :
لسوف اذكر هنا القصة كاملة من بدايتها ... منذ ان التقيت
بأمياس كريل لأول مرة الى نهايتها المفجعة
رايته أول مرة في حفلة فنية بأحد المعارض .. كان واقفا بجانب
النافذة .. ورايته وأنا ادخل من الباب .. وسألت أحدهم
من يكون هذا ، فقال : « انه الرسام كريل » فقلت فورا : « اننى أريد
ان اتعرف به .. »
وتعرفت به .. وتحدثت معه نحو عشر دقائق .. ولست أدري
على وجه التحديد كيف كانت مشاعري في تلك اللحظات .. ولكن
يكفى ان أقول : « ان كل شيء بدأ في عيني صغيرا ضئيلا بجانب أمياس »
لقد ملا هو افق حياتى ، فلم اعد أرى أحدا غيره .. وبعد هذه
المقابلة مباشرة ، ذهبت للتفرج على جميع لوحاته المعروضة في بوند
ستريت ، وفي متاحف لندن ومدينة ليدز .. وتقابلت معه مرة
أخرى ، وقلت له : « لقد شاهدت جميع لوحاتك .. واعتقد انها
رائعة »

فنظر الى في ابتسام خفيف وقال :
« ومن قال انك تصلحين للحكم على اللوحات الفنية .. اكبر ظنى
انك لا تفهمين شيئا عن فن الرسم »
« ربما .. ولكن هذا لا يمنع من اعجابى الشديد بها »
« لا تكونى حمقاء متهورة في أحكامك »
« اننى لست كما تظن ، أريد أن ترسمنى بريشتك »
« لو كنت تفهمين شيئا في الفن ، لادركت اننى لا أرسم لوحات

للبنيات الجميلات ، ان أساس رسومي كلها ، هي الفكرة لا الاشخاص «
« ارسمنى على ابنى فكرة ، وما اظن انى فتاة جميلة »
فنظر الى برهة وكأنما يرانى لأول مرة ثم قال :
« نعم ، اعتقد انك على صواب »
« هل سترسمنى اذن ؟ »
« يبدو لى انك طفلة عجيبة ، اليس كذلك ؟ »
« اننى طفلة موفورة الثراء كما تعلم .. واستطيع ان ادفع لك
ما تريد من اجر »
« لماذا تتلفين الى هذا الحد لى ارسمك ؟ »
« لانى اريد هذا »
« اهلا سبب معقول ؟ »
« لقد تعودت دائما ان اظفر بما اريد »
« اوه ... يا لك من طفلة حمقاء ؟ »
« هل سترسمنى اذن ؟ »
فامسك بكتفى فى شئ من العنف ، وراح يمعن النظر الى وجهى
وشعرى وصدرى ، ثم قال :
« نعم ، ساجعل منك لوحة فنية ، مهرجانا للالوان »
« اذن سترسمنى ؟ »
« نعم .. سارسم اروع واجمل وابهى الالوان الضاحكة ،
النايضة ، المتوثبة ، التى تصور الجمال ، والشباب ، وافراح
الحياة »
« اتفقنا »
« ولكنى احذرك يا الزا جرير ... اننى عادة اقع فى حب التى
ارسمها »
« اتمنى أن تفعل »
فلهثت أنفاسه ، ونظر الى فى دهشة ، وقد بدا الحب فعلا يطل
من عينيه فى تلك اللحظة .. هكذا ، ببساطة ، جمع الحب بيننا
بأقوى رباط
والتقينا مرة أخرى بعد يوم أو اثنين ، وطلب منى أن اذهب معه
الى قصره فى الدربرى لانه يريد أن يرسمنى فى وضع خاص ، وفى
اطار معين تجتمع معه كل ما فى الطبيعة من ألوان وبهاء ، ثم قال :

« اتنى رجل متزوج كما تعرفين ، وأحب زوجتى أشد الحب »
« اذن لا شك انها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا »
« جدا .. والواقع اننى أقدس التراب الذى تسير عليه ، ويجب
ان تفهمى هذا تماما »
« حسنا .. فهمت »

وبدا اللوحة بعد اسبوع ، وقد استقبلتنى كارولين فى أول الامر
بحماس وترحاب ومودة ، ولكن فى شىء من التحفظ الخفى ..
واعتقد انه لم يكن هناك ما يدعو الى خوفها منى ، فان امياس لم
يحاول ان يقول لى شيئا لا يستطيع ان يقوله امام زوجته .. وكنت
انا اعملها بأدب ورقة وتهذيب .. ولكننا ، فى أعماق نفوسنا ،
كنا نشعر بالقدر المتربص لنا

وكان على ، بعد عشرة أيام قضيتها فى تلك الزيارة الاولى ان اعود
الى لندن ، فقلت له :

« انك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد ؟ »
« اننى فى الواقع لم أبدأها بعد »
« لماذا ؟ »

« انت تعرفين السبب يا الزا ، ولهذا يجب ان ترحلى حتى تهدأ
مشاعرى ، فانى لا أستطيع ان أفكر فى الرسم ، بل لا أستطيع ان
أفكر فى شىء آخر ... غيرك »

وكنّا فى حديقة البحر عندئذ .. وكان الجو دافئا صافيا زاخرا
بأغاريذ الطيور ، مفعما بأريج الزهور . وكان ينبغى ان نشعر
بالسعادة ، ولكننا لم نسكن نشعر الا .. بالقلق .. وكانما كانت
أرواحنا تدرك المصير المنتظر !

وكنت اعرف انه لا فائدة من عودتى الى لندن ، ولكنى ، مع
هذا ، قلت :

« حسنا .. سأبتعد عنك اذا كان هذا يرضيك »
« انك فتاة رائعة ... »

وعدت الى لندن ، ولم أكتب اليه ..

وصبر هو عشرة أيام .. ولشد ما دهشت وصدمت حين رايت
حاليه اليائسة ، ونحول جسمه أثناء هذه الايام «عشرة من الغراق
وقد قال لى، حين رأتى :

« لقد حفرتك يا الزا .. فلا تلوميني .. »
 « اننى لا الوملك .. ولكننى سأفتح ذراعى لك .. فقد كنت
 فى انتظارك .. وكنت اعرف انك آت الى »
 فتأوه وقال : « هناك اشياء اقوى من كل ارادة انسانية .. لم
 يكن فى مقدورى ان آكل او انام او استريح لفرط شوقى اليك
 ولهفتى عليك »
 فقلت له اننى اعرف هذا ، لان هذا هو نفس شعورى منذ
 رأيته اول مرة ، فقال :
 « كانك لم تحاولي ان تقاومي هذا الشعور كما قاومته »
 « ولماذا اقاومه وهو اجمل شعور احسست به فى حياتي ؟ »
 « لو لم تكوني صغيرة الى هذا الحد »
 « ولكن قلبى ليس صغيرا .. »
 وقضينا معا بضعة اسابيع .. واعتقد اننى عاجزة تماما عن
 وصف السعادة التى كانت تملأ قلوبنا فى تلك الاسابيع .. انها لم
 تكن سعادة ، وانما كانت شيئا أعمق وأضخم ..
 ولكن امياس كان يشعر بالقلق من أجل الصورة .. وفى نهاية
 تلك الاسابيع قال :
 « اننى لم أستطع ان أستمر فى رسمك .. بسبب اضطراب
 مشاعرى نحوك .. اما الآن .. اما وقد عشت معك كل هذه
 الاسابيع وتشريت روحي من رحيق جمالك وشبابك ، فانى اشعر
 تماما بانى سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا .. اننى الآن
 اكاد أموت شوقا الى استئناف الرسم .. هناك .. ستجلسين على
 سور الحديقة .. وحولك زرقة السماء ، وخضرة الاشجار ، وكأنك
 رمز للنصر .. »
 ثم اردف يقول :
 « المهم الآن ان أفرغ من الصورة فى جو هادئ ، وبعد ذلك سأخبر
 كارولين بكل شيء ، ثم نتفق على حل للمشكلة »
 « أعتقد ان كارولين ستمانع فى الطلاق منك »
 « لا اظن .. ولكن ، من يدري ؟! »
 « اذا كانت تحبك - ، فيجب ان تعمل على اسعادك ولو على
 حساب الامها .. »

« هذه كلمات تقال في الكتب والروايات .. ولكن الحق
غير ذلك .. ان للطبيعة الانسانية مخالب وانيابا .. فلا تغفل
هذا .. »

« ولكننا نعيش في عصر متحضر .. والناس المتحضر
لا يستخدمون مخالبهم وانيابهم لتحقيق اغراضهم »
فضحك وقال : « ولكنها ستتعب .. فهل تعلمين يا ا
معنى عذاب الزوجة المهجورة ؟ »

فقلت : « اذن .. فلا تخبرها .. لا تصارحها بما بيننا ..
داعى لان تستمر علاقتنا الى ابعد من هذا »

« لا لا .. هذا مستحيل ايضا .. انك لى يا الزا .. لى ا
الدنيا كلها .. لن يفرق بيننا احد »

« لنفرض انها رفضت الطلاق ؟ »

« اننى لست خائفا من هذا »

« اذن مم تخاف .. ؟ »

« اننى لا ادرى على وجه التحديد .. »

ارأيت ؟ ! لقد كان خائفا منها .. كان يعرف حقيقة نفس
البدائية .. كان يدرك انها امرأة ذات مخالب وانياب .. آه ..
اننى ادرت يومذاك ما كان يجول بفكره ..

وعدنا مرة أخرى الى الدربرى .. ولكن الجو في هذه المرة
مكهربا .. مشحونا بالشكوك والارتياح والعداء الخفى ، والفج
العمياء .. ولم ارض عن هذا الجو بطبيعة الحال .. فقد عش
عمرى كله اكره النفاق ، والمراوغة ، والتخفى .. وقد ألححت
امياس كثيرا لى نصارحها ، ولكنه كان يصصر على الرفض

ولكن الطريف في الموضوع كله انه لم يكن هو مهتما بهذا الامر .
وانما كان اهتمامه مركزا على اللوحة التى يعمل فيها .. فرغم ا
كان ميالا لكارولين وكارها لابلانها ، فقد تركها تعاني عذاب
الشكوك وراح يعمل في اللوحة كالمجنون .. وانا لم ادر من قبل فذ
وهو يعمل ، ولكنى حين رأيت اثناء العمل ، ادرت فورا انه فذ
أصيل . . فنان ملهم .. وهكذا كان مستغرقا في فنه ، مطلقا
بعيدا عن مشاكل الحياة الدائرة حوله ، المطبقة عليه .. ولكن الموقف
بالنسبة لى كان يختلف .. كان موقفى حرجا اشد ما يكون الحرج .

كانت كارولين تكرهني ، وتخزني بمبارات ملتوية ، تبدو بريئة في
ظاهرها قاطعة كالسكين في حقيقتها .. ولها العذر .. وهكذا رأيت
ان خير وسيلة لتخفيف حرج موقفى ، هى أن أواجه الامر فى صراحة
وصدق .. ولما اخبرت امياس برأى هذا ، قال :
« اللعنة على الصراحة والصدق .. اننى أريد أولا ان اتم رسم
اللوحة فى هدوء ... »

ورغم فهمى لموقفه ، فقد أبى هو أن يفهم موقفى ..
ولم أستطع ان أحتمل الامر طويلا .. فقد حدث ان تحدثت
كارولين عن رحلة ستقوم بها مع امياس فى الصيف التالى الى
النرويج .. وكانت تتحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها ..
وغضبت .. غضبت لجو الخداع والتناق الذى تعيش فيه .. ومن
ثم صارحتها بالحقيقة .. ولم يستطع امياس الا أن يؤيدنى وينصرنى
عليها .. ثم ذهبنا جميعا لشرب الشاي فى منزل ميرديث ، وهناك
رأيتها بعينى وهى تختلس كمية من سم الكونين من العمل .. وقد
خطر لى حينئذ انها ستنتحر به



وفى صباح اليوم التالى ، سمعتها تتشاجر مع امياس فى غرفة
المكتبة .. وكنت جالسة فى الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة ..
وقد بدا هو حديثه راجيا ان تكون عاقلة ، وأن ترضى بالامور الواقع ،
وأن تتأكد بأنه سيرضى مستقبلها ومستقبل طفلتهما .. ولكنها أبت
الا أن تثور عليه ، فهتف بها غاضبا : « ليس هناك مفر من زواجى
بالزا .. سواء رضيت أم أبيت .. لن يمنعنى من الزواج بها شيء
فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق .. »
فقلت له كارولين عندئذ :

« افعل ما تريد ... فقد حذرتك »

« ماذا تعنين يا كارولين ؟ »

« اعنى انك لى ... لى وحدى ، وانى أفضل أن أراك ميتا على
أن أسمع لامرأة اخرى ان نظفر بك .. واذا تماديت هكذا مع نساءك
فسوف اقتلك يوما »

وبعد برهة ، رأيت فيليب بليك يقبل الى الشرفة ، فنهضت اليه
حتى لا يسمع ما يجرى فى غرفة المكتبة

وبعد ذلك أقبل امياس مضطرم الوجه ، وطلب منى أن اذهب معه لى يفرغ من رسم اللوحة ، فذهبنا الى حديقة البحر .. ولم يقل هو شيئا اكثر من أن كارولين نائرة عليه ، ولكنه لا يريد أن يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة .. واذكر انه قال لى بالحرف الواحد :

« ان اللوحة هى اهم شىء فى حياتى الآن .. وسوف تكون أروع عمل فنى قمت به .. ولن أراجع عن اتمامها حتى لو دفعت فيها كل هذا الثمن من الدموع والدماء »

وبعد نحو ساعة ، غادرت حديقة البحر لآتى بمعطى الصوفى الاحمر لأضعه على كتفى ، اذ كان هواء البحر يهب على جسمى ، باردا .. ولما عدت الى الحديقة ، وجدت كارولين هناك ، ولعلها كانت تبذل محاولة أخيرة لاقتناع امياس بخطئه نحوها .. وكذلك كان معهما فيليب وميرديث بليك .. وعندئذ قال امياس انه فى حاجة الى بيرة مثلجة ، لأن البيرة الموضوعة فى الحديقة ساخنة ووردية المذاق ، فوعده كارولين بارسال زجاجة بيرة مثلجة من القصر ، وكانت تتحدث بطريقة هادئة ، تدل على قوة اعصابها ، وبراعتها فى التمثيل .. ولا شك فى هذا .. فقد ندرت فى تلك اللحظة ان تأتى بالبيرة الثلجة ... السامة !

واحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق ، وكان امياس مشغولا بالرسم .. وملأت له الكأس ووضعتها بجانبه .. ولم يكن أحدا يراقبها وهى تفعل هذا .. فقد كان امياس منهمكا فى عمله ، وكنت انا حريصة على البقاء فى الوضع المطلوب منى

وشرب امياس الكأس ، وبدأ على وجهه الامتعاض الشديد ، وقال ان للبيرة مذاقا مرا ، ولكن هذه الكأس ، على كل حال ، باردة منعشة .. والعجيب اننى ، حتى هذه اللحظة ، لم أشك فى الامر ، فقلت ضاحكة انه يعانى ولا ريب من مرض فى الكبد .. وبعد أربعين دقيقة تقريبا ، سمعت امياس يشكو من تصلب فى عضلاته ، وقال انه يخشى ان يكون مصابا بروماتزم عضلى ، وكان دائما يعرب عن خوفه من المرض ، فداعبته قائلة انه رجل عجوز ، وداعبني قائلا اننى سأزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم ، وأخيرا دق جرس الغداء ، فتهالك جالسا على المقعد الخشبي

المستطيل وقال انه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة ،
واقبل مرديث الى باب الحديقة ، فذهبت معه الى القصر لاتناول
الغداء تاركة امياس يموت وأنا لا ادرى .. اتنى لم ار فى حياتى
رجلا يحتضر .. وقد ظننته راقدا ، كماداته ، يستريح .. وآه لو
كنت أعلم الحقيقة .. اذن لاستدعيت طبيبيا فى الحال ، ولكن من
الممكن اتقاه .. ولكن ما فائدة الندم ؟

وبعد طعام الغداء ، وشرب القهوة فى الشرفة ، ذهبت كارولين مع
مس ويليامز ، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذى قتله بيديها ..
وعندما علمت بالكارثة ادركت فورا انها هى القتالة .. وقد ظننت
لاول وهلة انها لم تقتله بالسهم ، وانما ذهبت وطمنته بسكين أو
برصاصة مسدس

وكنيت أريد أن انشب اظافرى فى عنقها

كيف طاوعتها نفسها على قتله .. كيف رضيت أن تنتزع الحياة
من رجل كان يشبض بالحياة ويحب الحياة .. كل هذا لكى لا اظفر
به دوتها .. امرأة رهيبة .. امرأة لعينة حقيرة متوحشة .. انى
اكرهها .. امقتها .. احقد عليها .. انهم لم يشنقوها .. وكان
يجب ان يفعلوا .. بن ان الشنق كان اقل ما يجب لعقابها .. لشد
ما امقتها حتى الآن ..



الفصل الحادى عشر

المربية العجوز

وهذه قصة المربية العجوز :

اسمى سيسليا ويليامز .. التحقت بالعمل لدى مسز كريل لاقوم بتربية مس انجيلا وارين والتدريس لها ، وكنت يومذاك فى الخامسة والاربعين من عمرى ..

وبدأت العمل فى قصر آلدربرى ، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة ، وكانت المزرعة من املاك أسرة كريل منذ اجيال عديدة .. وكان سكان القصر مكونين من مستر ومسز كريل، وابنتهما كارلا التى كانت عند جدتها اثناء وقوع المأساة ، وانجيلا وارين ، وكانت يوم التحاقى بالعمل صبية فى الثالثة عشرة من عمرها ، وثلاث خادومات علمت انهن نشأن منذ طفولتهن فى خدمة آل كريل

وقد وجدت تلميذتى فتاة ذكية ، قادرة على فهم ما يلقى اليها من دروس ، لطيفة خفيفة الظل ، ولكنها عنيدة مدللة بسبب اسراف مسز كريل فى حبها والعناية بها ..

اما المستر كريل ، فقد أدركت ، منذ اللحظة الاولى ، انه رجل هوائى، متقلب ، دموى المزاج ، ولست ادرى كيف استطاعت زوجته أن تحتل الحياة معه ، رغم خياناته المتكررة لها ، كل هذه السنوات ورايت مس الزا جريو عند زيارتها الاولى فى أول الصيف ، وكان واضحا لكل ذى عينين أن ثمة علاقة حب بينها وبين كريل ، وأن مسألة رسم اللوحة ليست الا ستارا لاقامة الفتاة مع كريل فى قصر آلدربرى

وليس ادل على ذلك من ان كريل لم يرسم شيئا فى اللوحة اثناء

زيارتها الاولى ، ولا شك انه كان هناك ما يشغلها في حديقة القصر من مهمة الرسم !

ولكن تلميذتي انجيلا ، والحمد لله ، لم تلاحظ شيئا من هذا كله ، فقد كانت من ناحية الانوثة ، اقل كثيرا من سنها ، ولم يكن يهمها الا اللعب والمرح والدمابات والقراءة ..

اما الزا جرير ، فكانت فتاة تافهة التفكير ، سوقية الطبع ، لا يهمها في الحياة الا مظهرها امام الناس واعجاب الرجال بها واعتقد ان مسز كريل كانت تبذل كل جهدها لتخفي آلامها النفسية عن انجيلا حتى لا تظلل سعادة الفتاة الصغيرة باى ظل من الالم والتعاسة ..

وعادت الزا جرير الى لندن .. وشعرنا حينئذ كأن كابوسا ثقيلًا قد ازيح عن اكتافنا ، فقد كنا جميعا ، حتى الخدم ، نشعر بالكراهية لها .. اذ كانت من الاشخاص الذين يطالبون بالكثير دون أن يكلفوا انفسهم القاء كلمة شكر

وسافر المستر كريل بعدها ببضعة ايام .. وقد شعرت بالالم من اجل مسز كريل .. فقد كانت المسكينة تتعذب في صمت من تصرفات زوجها ، ولكننا ، هي وانا ، رجونا ان يعود امياس من لندن وقد نغض يديه من هذا الحب الجديد ..

ولكنه ، للأسف ، عاد معها .. مع الزا .. وبدأ يرسم اللوحة في حماس جنوني ، ولكنى مع هذا ادركت أن علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء ..

وبلغت الازمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة ، الزا ، في وقاحتها وجراتها ، وصارحت كارولين بعزمها على الزواج من كريل !

ورغم أن كريل كان غاضبا على صراحتها هذه ، فانه لم يستطع أن ينكر أو يتراجع ، وأعلن لزواجه أن ما قالته الزا هو الحقيقة

ولم أشهد في حياتي موقفا مخجلا كهذا بين زوج وزوجه لقد تمنيت في تلك اللحظة أن يعاقب امياس كريل عقابا الهيا ، جزاء ما ارتكبه في حق زوجة نبيلة كريمة متفانية ..

وبعد هذا المشهد العاصف .. حاولت أن اواسى كارولين ، فقالت لى :

— على كل حال يجب أن نتصرف في حياتنا كالاعتاد ، وكان شيئا

لم يحدث .. والدليل على هذا اننا سندهب لشرب الشاي في بيت
ميرديث بليك حسب الموعد المتفق عليه ..
« اعتقد يامسز كريل انك سيدة رائعة مدهشة »
« الحقيقة ، انك لا تعرفين ... »
ثم غادرت الغرفة ، ولم تلبث أن عادت وقالت :
« انك يامسز ويليامز مخلصه . لالتمس من وجودك
بجانبى الراحة والعزاء »

وذهب جميعهم الى منزل المستر ميرديث بليك ، ثم عادوا في نحو
السادسة مساء

ولم استطع الانفراد بمسز كريل في تلك الليلة .. ولكنى اذكر
انها كانت هادئة اكثر مما كنت اتوقع ، وقد اوت الى فراشها في
ساعة مبكرة ، لقد كانت تتعذب في صمت ..

وانتهت جلسة المساء بمشاجرة عنيفة ، مضحكة ، بين انجيلا
وامياس كريل بشأن الحاقها بالمدرسة ، ولم يكن هناك ما يدعو امياس
الى اثاره هذا الموضوع بعد ان تمت جميع الترتيبات للذهاب انجيلا
الى المدرسة .. وقد بلغ من سخط انجيلا انها اقلت بثقاله ورق على
امياس ، ثم ارسلت عليه وابلا من الدعوات الشريرة ، واندفعت الى
غرفة نومها باكية



وفي صباح اليوم التالى ، وكان يوما جميلا مشرقا ، وجدت ، بعد
طعام الافطار، جوثلة انجيلا ملقاة في غرفتها ، ممزقة فحملتها ورحت
ابحث عنها لاجلها ترتقها ، حتى تتعود على النظام والترتيب ورتق
ملابسها بنفسها ، وقد بلغت في بحثى عنها مزرعة المستر ميرديث
بليك ، لانى كنت أعلم أن انجيلا تعودت أن تمر الخليج بأجسد
الزوارق بمفردها وتذهب الى هناك لتأكل بعض ثمار التفاح
الناضجة .. ولما عدت دون أن أثير عليها ، رأيت مسز كريل مع
المستر فيليب والمستر ميرديث في شرفة القصر ، وكانت مسز كريل
تقترح أن ترسل الى الاخوين بعض البيرة المثلجة ، وقد ذهبت مع
مسز كريل الى التلاجة الموضوعة في غرفة صغيرة بالطابق الاول ،
وهناك راينا انجيلا تتناول من التلاجة زجاجة بيرة ، وكان يبدو على
وجهها انها ارتكبت شيئا .. وقد قالت لها مسز كريل :

أريد زجاجة بيرة مثلوحة لأمضى بها الى امياس "
 وامسكت أنا بانجيلا وعنفقتها على هربها منى طوال فترة الصباح :
 وطلبت منها أن ترتق الجونة : والعجيب انها استسلمت لتعيمي في
 خضوع واستكانة .. ولم تكن هذه طبيعتها .. ولكنها كانت مدركة
 خطاها ، وكان واضحا على وجهها هذا الإدراك
 ولما سألتها أين كانت ؟ قالت انها كانت تسبح في الخليج ، فقلت
 لها اننى لم أرها هنالك ، فضحكت وتناولت الجونة ووعدت
 باصلاحها فوراً ..

وحل موعد الغداء .. ولم يحضره كريل ..
 وبعد الطعام وشرب القهوة ، قررت أن اذهب لاستحضار صديرة
 انجيلا التى تركتها على الشاطئ بعد سباحتها مع المستر بيليب
 بليك .. وذهبت في الممر مع المسز كريل التى قالت انها ذاهبة لتنظر
 فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء .. ولكنى ما كدت انجاز
 باب حديقة البحر ، حتى سمعت صيحتها وهى تنادىنى ، فأسرعت
 اليها حيث رأيت امياس جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم ،
 وطلبت منى مسز كريل أن استدعى طبيبا ، فغادرت الحديقة الى
 الممر بسرعة ، وهندئلت التقيت بمستر ميرديث بليك فكلفت بهمة
 استدعاء الطبيب ، وعدت الى مسز كريل وأنا أشعر أنها أحوج ما تكون
 الى من يقف بجانبها في تلك اللحظة
 تلك هى قصتى ..

ولكن الشيء الذى أخفيه عن الجميع ، حتى عن مسز كريل
 نفسها ، هو اننى رأيتها ، عند عودتى الى الحديقة بعد أن كلفت
 ميرديث بليك بهمة استدعاء الطبيب ، أقول رأيت مسز كريل
 منهكة في ازالة بصمات الاصابع بمنديلها عن زجاجة البيرة ، ثم اذا
 هى تمسك بيد زوجها الميت وتضبط بأصابعه على الزجاجة .. كل
 هذا وهى متحفزة ، ترهف السمع ، والخوف الشديد يبدو على
 وجهها

هذه هى الحقيقة التى أخفيتا عن الجميع ، وهذا هو السب
 الذى جعلنى أومن تماما بأن كارولين قتلت زوجها ، ومع ذلك فانى
 التمس لها المتمر ، واحمل لها في نفسى كل عطف واشفاق ، ويهمنى
 ان تعرف كارالا هذه الحقيقة أيضا ، وذلك لكى تستريح وتسى
 المسألة تماما

الفصل الثاني عشر

انجيلا واربن مرة أخرى

عزيزى المسيو بوارو ..

اننى أبر بوعدى لك ، وأكتب اليك بكل ما يتعلق بذاكرتى عن
مأساة أختى كارولين وزوجها أمياس . والواقع أننى لم أكن أعرف
ضالة ما أذكره الا بعد أن بدأت الكتابة ..

ان ذكريات ذلك الصيف كانت غامضة .. وأحداثه كانت متفرقة
.. وقد جاء مقتل أمياس كضربة أصابت حياتى من حيث لا أدري
أو أتوقع .. ذلك أننى كنت غافلة عما كان يجرى حولى من عواطف
وتيارات انسانية خفية ..

ولست أدري هل فتيات الخامسة عشرة كلهن هكذا .. يعشن
لأنفسهن ، ولا يكدن يدرين تماما بما يجرى حولهن من مثل هذه
التيارات العاطفية الخفية !

كنت مهتمة فقط باللعب ، والسباحة ، وتسلق الاشجار لاقتطاف
الفاكهة ، واطعام الجياد ، وتدبير المقالب للخدمات ، وأحيانا لاأمياس
كريل نفسه ..

وكنت عدا هذا مشغوفة بقراءة الكتب والروايات والمجلات
ولعلك تسألنى عن شعورى نحو كارولين وأمياس فى ذلك الحين ..
حسنًا .. كان شعورا طبيعيا .. كنت أحب أختى كارولين كأعظم
ما يكون الحب بين أخت وأخت .. شقيقة أو غير شقيقة ، وكنت أميل
الى أمياس .. وأحبه كأخ أكبر .. أو كوالد ، وذلك رغم المشادات
العنيفة التى كانت تقع بيننا كلما تبادى فى إغاطتى واثارتى
ولكنى ، فى الوقت نفسه كنت أغار على أختى منه ، وقد أدركت
الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته منى

وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو فى علاقتى بهما .. وانما كنت أشعر بهما كما يشعر الانسان بأهله وذويه

ولما أقبلت الزا فى أول زيارة ، لم أحفل بها أو أشغل نفسى بأمرها .. فقد بدت لى من اللحظة الاولى أنها سوقية ، جاهلة ، بل انى لم أفكر فى أنها جميلة .. وانما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية متيرة للملل والنفور

ولم أعرف فى الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين أمياس الا أثناء زيارتها الثانية ، الطويلة ، للقصر .. وقد كنت فى الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث مع أمياس فى غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به ... وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا ، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس كريل فى حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاي ، قائلة : « لماذا تقول الزا انها ستتزوج بك ؟ ان هذا مستحيل ، فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين ، ان هذا مخالف للقانون والشريعة اليس كذلك ؟ »

فغضب أمياس وقال بحدة : « كيف سمعت هذا بحق الشيطان؟ »
« سمعتها وهى تحدثك فى غرفة المكتبة »

فازداد غضبا ، وقال ان الاوان قد آن فعلا لاطاقى بالمدرسة، وأنه سيلحقنى بها فى أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع - فقلت له بغضب اننى لم أكن أقصد أن أسترق السمع ، وأنه يتهمنى بهذا ظلما .. وأخيرا ابتسم ، وقال ان ماسمعه لا يعدو أن يكون دغابة من جانب الزا

وقلت لالزا ونحن فى طريق العودة الى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للمستتر ميرديث بليك : « لقد سألت أمياس عن معنى قولك له انك ستتزوجين به ، فقال ان الامر لا يعدو أن يكون دغابة »

وكنت أريد أن أغيظها وأثيرها .. ولكنها ابتسمت ، ولم تعجبني ابتسامتها

وذهبت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت نسنعد للمهبط الى طعام العشاء ، وسألتها هل يمكن أن يتزوج أمياس بالزا ، واتى لاذكر اجابتها الحاسمة الاكيدة وكأنى أسمعها الآن : « ان أمياس لن يتزوج من الزا ، أو من غيرها الا بعد وفاتى »

وهدأت اجابتها هذه من مخاوفى ، وأعادت الاطمئنان الى نفسى

ولكنى بقيت ساخطة على أمياس، وهكذا انتهزت فرصة انارته لموضوع المدرسة ، فتشاجرت معه بعنف ، وصيبت على رأسه مجموعة من الدعوات، ثم اندفعت باكية الى غرفة نومى

ولست أذكر شيئا كثيرا مما حدث فى صباح اليوم التالى ، قبل المساء ٠٠ أذكر فقط أنى تجولت هنا وهناك ، وسبحت فى الخليج ، ولكنى أذكر تماما اسراع ميرديث الى الشرفة فى اهتياج قائلا ان أمياس مات ، وأذكر انفعال الزا وسقوط قدح القهوة من يدها وهى تطلق صيحة رهيبة ، ثم تعدو بسرعة عجيبة فى الممر الى حديقة البحر ، وكنت أردد لنفسى : « مات أمياس ٠٠٠ مات أمياس » دون أن أشعر بأن ماحدث حقيقة وليس حلما أو خيالا

وأذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين ، وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ، ولكنى أسرعرت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت راقدة على الارىكة ، ممتعة ، مريضة ، فلما رأتنى قبلتنى وطلبت منى أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المساء لأن مثل هذه الامور جد رهيبة بالنسبة لفتاة صغيرة مثلى ، ولكنى لم أكن مهتمة الا بحالة أختى ، وأخيرا أرسلونى الى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها اللبدي تريليان

ولست أنسى كيف ودعتنى كارولين فى حب وحنان وهى تطلب منى فى رجاء ولهفة ألا أفكر فى الامر ، والا أحزن أو أقلق ٠٠ وكذلك لست أنسى اسئلة رجال البوليس لى قبل رحيلى ٠٠ ولكنهم لم يلحوا فى القاء الاسئلة على ٠٠ فقد كانت الجريمة ، بالنسبة اليهم واضحة كل الوضوح ٠٠

وهكذا لم يجد المسئولون سببا يمنعهم من التصريح لى بالذهاب الى اللبدي تريليان للاقامة معها حتى تنتهى المحاكمة

واستقبلتنى اللبدي تريليان فى حب وعطف واشفاق ٠٠ وبرغم حرص الجميع على اخفاء الحقيقة عني ، فقد علمت أن رجال البوليس ألقوا القبض على أختى كارولين ، وأذكر أنى مرضت من فرط الفزع والحزن

وسمعت فيما بعد أن أختى كانت ، بعد القبض عليها ، شديدة القلق بشأنى ، وأنها هى التى أصرت على ترحيلى الى خارج انجلترا قبل المحاكمة ٠٠

وقد أخبرتك بهذا كله
ومرة أخرى أقول اننى واثقة تماما بأن أختى لم ترتكب هذه
الجريمة ، أقول واثقة ، ولكنى لا أستطيع أن أقدم الدليل المادى على
براءتها !
فليرحمها الله ...



والآن ... ما رأى السادة القراء ؟
لقد وضعت المؤلفة بين أيديهم جميع الحقائق والملابسات المحيطة
بالجريمة ... انها لم تخف عنهم شيئا ... فهل يمكن أن ينتصر بعضهم،
أو كلهم ، عليها فى هذه المباراة الممتعة ويعرفوا الحقيقة التى وصل
اليها بوارو ؟
لقد وصل بوارو الى الحقيقة ، بعد حصوله على هذه المعلومات التى
وردت فى الصفحات السابقة !



الفصل الثالث عشر

وبعد!!

رفعت كارلا لامرشانت ، ابنة كارولين وكريل ، رأسها عن الأوراق الموضوعة أمامها ، التي تحكى مأساة والديها فى تفصيل ووضوح ، ثم قالت بصوت متعجب :

— لقد اردت حيرة فوق حيرتى ، فان كل واحد من هؤلاء ينظرالى أمى من زاوية مختلفة ، ولكن الحقائق واحدة... وكلهم متفقون عليها! — هل ثبتت قراءتك لهذه التقارير من عزيمةك ؟

— نعم ... وأنت ؟

— لا ... لقد وجدت فى هذه التقارير كل ما أردت العثور عليه — ولكنى أتمنى لو أنى لم أقرأها ، فقد أصبحت الآن موقنة بادانة أمى

فنظر بوارو إليها برهة ، ثم قال :

— أهكذا ؟

— نعم ، انهم جميعا يعتقدون أن أمى مدانة ، فيما عدا انجيلا ، ولها العذر ، فهى أختها ، أما ميرديث ، فهو يحاول أن يخفى ادانة أمى على غير جدوى ... وكذلك لم تستطع انجيلا ، رغم ذكائها وقوة تفكيرها ، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر ايمانها ببراءة أمى

— أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير ؟

— نعم ، وليس من شك فى أن هؤلاء الاشخاص الخمسة قدأجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على ادانة أمى ، لأنها اذا لم تكن هى

التي ارتكبت الجريمة ، لا بد أن يكون مرتكبها واحدا منهم

فابتسم بوارو وقال :

- آه ... هذا رأى مثير ، وهل يمكن أن توضحيه لى ؟

- أستطيع فقط أن أقدم اليك احتمالات لأدليل عليها ، فمثلا فيليب بليك : انه سمسار مالى ، ركان من أخلص أصدقاء أبى . ومن المحتمل أن يكون أبى قد أفرضه أو أودع لديه مبلغا ضخما ، والمعروف أن الفنانين مستهترون دائما من الناحية المالية ، ولعل فيليب ، تحت ضغط ظروف طارئة ، كان قد ضيع المال الذى أوثمن عليه ، ولعله قد جعل أبى يوقع على شيء ، ثم تطورت الاحوال وخشى فيليب من الفضيحة ، التي لا نجاة منها الا بموت أبى ، هذه بعض الافكار التي دارت برأسى عن هذا الاحتمال

رأوما بوارو برأسه وقال :

- لا بأس ، والاحتمال الثانى ؟

- وهناك الزا جرير ... انها فتاة لا تتورع عن أى شيء ، ولعلها تكون قد اختلست السم لكى تقتل به أمى حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبى بأية حال من الاحوال ... وفتاة مثل الزا لا تقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج الى ما لا نهاية ... انها لا ترضى بأقل من الزواج من هذا الرجل الذى تعبه ، ومن ثم فهي لا تكف عن الحديث عن الزواج والمستقبل ... أقول انها اختلست السم لتقتل به أمى ، فكانت النتيجة ، مات أبى بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدري

وابتسم بوارو وقال :

- وهذا احتمال لا بأس به أيضا ، والثالث ؟

- ميرديث ...

- ميرديث بليك ؟

- نعم ...

- حتى ميرديث بليك أدخلته فى نطاق احتمالاتك ؟

- ولم لا ؟ هل يوجد انسان فى هذه الدنيا معصوم من ارتكاب جريمة قتل ؟ انه يبدو لى من النوع الذى لا يتردد كثيرا فى ارتكاب

جريمة قتل ٠٠ فهو ضيق التفكير ، محدود الخيال ، بطيء ، متردد ، موضع ضحك وسخرية الغير ، ولعله ، في أعماق نفسه ، يشعر بالسخط على هذا كله ٠٠ ثم تزوج أبى الفتاة التى كان ميرديث يتمنى الزواج بها ٠٠ ونجح أبى فى حياته وظفر بالمال والشهرة ٠٠ وعمد ميرديث للتنفيس عن كبته النفسى الى هذه الهواية الخطرة فى استخراج العقاقير والسموم من النباتات والاعشاب ٠٠ ولعله شغف بهذه الهواية لأنه كان يتمنى ، فى قرارة نفسه ، أن يقتل شخصا ما ذات يوم ٠٠ ولعله لفت أنظار الجميع الى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة ٠٠ ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس الى أخذ السم من معمله بنفسه ٠٠ بل لعله أراد ، أيضا ، أن يرسل بأبى الى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبى عليه ٠٠ ولعله كان يقصد التعبير عن نفسه فى كتابته عن الاشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم ، وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبى مات منتحرا ٠٠

— انك على صواب فى هذه الناحية ٠٠ وهو أنه ليس من المحتمل أن يكون كل ما كتبه الواحد منهم حقا لا شائبة فيه ٠٠ فلعل بعضهم عمد الى كتابة أشياء لتضليلنا عن الحقيقة

— ان هذا هو أملى الاخير ، الوحيد ٠٠٠ ان كان ثمة مجال للامل بعد هذا كله !

— هل هناك احتمالات أخرى ؟

— خطر فى بالى أن مس ويليامز قد تكون هى القاتلة حتى لاتفقد وظيفتها ٠٠ ولكنى أستبعد هذا الاحتمال تماما ٠٠ فاذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال ، فان مس ويليامز ، كما يبدو لى من حديثك عنها ، ومن مذكراتها ، ليست بالسيدة التى تهتم بالمال الى حد ارتكاب الجرائم فى سبيله ٠٠ لا ٠٠ لم يبق أمامى الا أن أستسلم للامر الواقع ٠٠ فان هذه الاحتمالات كلها تكاد تكون فى حكم المستحيل ٠٠ نعم ٠٠ لقد آمنت الآن أن أمى ليست بريئة كما اظن ، وانه لم يبق أمامى الا ان افسخ خطبتى

وتهدد صوت كارلا قليلا ، وهى تستطرد قائلة :

— نعم ٠٠ لا تتعجب يامسيو بوارو ٠٠ اننى لا أستطيع أن أتزوج

وهذا السيف الرهيب وصلت على رأسى ٠٠ لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر الى الرجل الذى أحبه فى شىء من الخوف والحذر اذا تشاجرنا يوما ٠٠ خير لى ، أنا الابنة الوحيدة للرسام كريل الذى قتلته زوجته ٠٠ أمى ٠٠ أن أهجر العالم ، وأقضى أيامى فى الدير ، استغفر الله لهما ، وأقطع ، بموتى ، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الارض ٠٠

فنظر إليها بوارو برهة ، ثم قال :

— اذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة ؟

فازداد صوتها تهديجا وقالت :

— نعم ٠٠ وانى مقدرة لك كل ما بذلت من جهد فى هذا السبيل ، ولن أضن عليك بأى قدر من المال كمكافاة لك

فنظر بوارو إليها مرة أخرى ، ثم هز رأسه وقال :

— ان مكافأتى الحقيقية هى العمل على تبرئة سيده مظلومة !

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أنك تريد أن تخرجى من المعركة فى اللحظة التى وضحت لى فيها الحقيقة كاملة ٠٠

— لست أفهم تماما ماذا تعنى يامسيو بوارو ٠٠

— أعنى أننى — هيركيول بوارو — قد عرفت من تحريراتى مع الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، ومن كتاباتهم ، أن والدتك كانت مظلومة !

فهزت كارلا رأسها فى يأس وقالت :

— أتقول هذا بعد أن ذكرت مس ويليامز بوضوح أنها شاهدت أمى وهى تزيل بصمات أصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات أبى وهو ميت ؟

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

— لو أن الذى ذكر هذه الحقيقة شاهد آخر ، لاتهمته بالكذب ، ولكن مس ويليامز كانت تحب أمى حتى آخر لحظة ، وقد وقفت فى صفها ، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاة ، فهل يمكن أن نشك فى أقوالها ؟

فقال بوارو :

- اننى آخر من يشك فى أقوال مس ويليامز فى هذا الشأن
بالذات !

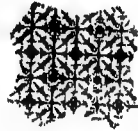
- عجباً ! ..

وعندئذ نهض بوارو وقال :

- اسمعى يامس كارلا ، أن رؤية مس ويليامز لأُمك ، هى تزيل
بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة ، لتطبع عليها بصمات أصابع
أبيك ، هى الدليل الحاسم ، الذى جعلنى أومن بأن أمك لم ترتكب
هذه الجريمة !

ثم غادر الغرفة ،

وظلت كارلا واقفة نشيعة بنظراتها فى ذهول ودهشة وعجب



الفصل الرابع عشر

بوارويال

ذهب هيركيول بوارو الى فيليب بليك وقال له في هدوء ورقة :
— لقد جئت لأشكر لك ما بذلته من جهد في كتابة ذكرياتك عن
مأساة صديقك امباس كريل ، الواقع انك اوضحت لي كثيرا من
النواحي التي كانت غامضة

فقال فيليب ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه :

— الواقع اني دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة ،
بمجرد أن بدأت الكتابة !

— نعم .. نعم .. ولكن هذا لا يمنع من القول انك لم تذكر
كل شيء !

فقطب بليك جبينه وقال :

— لم اذكر كل شيء ؟

فقال بوارو :

— ان روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح ... ولكن !

ثم اردف بوارو في صوت لا يخلو من جفاف :

— لقد قيل لي يامستر بليك ان مسز كريل شوهدت ، مرة
واحدة على الاقل ، وهي تخرج من غرفتك في ساعة متأخرة
من الليل ! ..

وخيم الصمت على الغرفة ، وراح فيليب بليك ينظر في حيره
وغضب ودهشة الى بوارو ، ثم قال اخيرا :

— من قال لك هذا ؟

فهن بوارو راسه وقال :

— ليس من المهم أن تعرف من الذى أخبرنى . ولكن المهم هو
أننى أعرف هذه الحقيقة

ومرة أخرى خيم الصمت ، وبدأ فيليب فى سمت الرجل الذى
يقرر فى نفسه أمرا ، وأخيرا قال :

— يبدو أنك عرفت مسألة خاصة عن طريق المصادفة ، وأيا كان
الامر ، فانى أجد نفسى مضطرا لأن أخبرك بالحقيقة . . الحقيقة
التي حاولت إخفاءها من سطور حكايتى

وهز كتفيه ثم أردف قائلا :

— اننى لا أنكر شعورى العدائى نحو كارولين ، ولكنى ، فى
الوقت نفسه ، كنت مفتونا بها ، ولعل هذه الحقيقة هى التي دفعت
بعضهم الى أخبارك بهذا الذى قلته لى الآن ، وهذه الحقيقة أيضا
هى التي كانت تجعلنى أشعر دائما بالثورة على نفسى وعلى خضوعى
لجاذبيتها ، ومن ثم كنت دائما أحاول أن أتمسك لها بالخطأ وأضخم
لها العيوب حتى تصغر فى عيني ، وتخف وطأة سحرها على .
وأرجو أن تفهم اننى لم أحبها يوما هذا الحب الروحى المقدس ، وإنما
كنت مفتونا بجاذبيتها ، وكنت أخشى فى أية لحظة أن أهبط بمشاعرى
فأراودها عن نفسى . . وجملة الحقيقة هى اننى أحببتها وأنا فى مية
الصبا والسباب ، ولكنها لم تكن تبالى بى ، أو تشعر بوجودى ،
وقد عشت حياتى كلها وأنا لا أغفر لها هذا الموقف

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— وحانت فرصتى عندما استغرق أمياس الى اذنيه فى حب هذه
الفتاة الزا جرير ، وإذا أنا أجد نفسى أصارع كارولين بحبى لها ،
وإذا هى تقول بهدوء : «نعم يا فيليب ، لقد كنت أعرف دائما أنك
تحبنى ! » فيألفها من امرأة رهيبة ، كانت تعرف دائما انى أحبها
دون أن تحفل بأمرى ، أو تهتم بمشاعرى !

ومرة أخرى صمت فيليب وقد بدت أشد إمارات الحقد على
وجهه ، ثم استأنف حديثه قائلا :

— نعم . . كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوى يوما . . ولكنى
لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب
وثورة بسبب موقف أمياس من تلك الفتاة الزا . . وإذا استبدت
مثل هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها . .

وهكذا رضىت بزيارتي ليلا في غرفتي بالقصر . . وجاءت ولكننى ما كدت أحيطها بذراعى حتى تخلصت منى وقالت بهدونها القاتل انه لا فائدة من هذا كله . . وانها امرأة رجل واحد ، امرأة اذا احبته رجلا ، فلن تستطيع ان تحب غيره مهما يكن الحال ، وانها ستبقى على حب امياس سواء بقى زوجها لها او تزوج من غيرها . تم اعترفت انها عاملتنى بقسوة واساءت الى بقبولها الحضور الى غرفتى ، تم امتناعها على . واعتذرت بانها لا تملك من امر قلبها شيئا ، وطلبت منى ان اصفح عنها ، ثم انصرفت عنى ، فهل تعجب بعد هذا يا مسيو بوارو اذا قلت لك ان كراهيتى لكارولين قد بلغت الذروة ، واننى لم اصفح عنها او اغفر لها هذه الاهانة التى وجهتها الى عواطفى ، هذا عدا قتلها لاخلص صديق الى

وارتعد فيليب فجأة ، وقال بمنف :

— اننى لا اريد الاقاضة في هذا الحديث ، لقد اجبت على سؤالك، فاهلم انصرف عنى !



وذهب بوارو للمستر ميرديث بليك وقال له :

— أرجو يامستر ميرديث بليك أن تذكر لى ترتيب خروج ضيوفك من غرفة العمل في ذلك اليوم فاحتج ميرديث قائلا :

— ولكن ، كيف أستطيع ان اتذكر هذا يا مسيو بوارو ، بعد مرور ستة عشر عاما ؟ يكفى انى قلت لك ان كارولين كانت آخر من غادر الغرفة

— هل انت واثق من هذا ؟

— نعم . . . على الاقل

— هلم نمضى الى غرفة العمل لتستعيد ذكرياتك ، فاننا نريد ان نتأكد

وهناك في غرفة العمل ، قال بوارو :

— والان يا مستر بليك ، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ، ثم بدأوا ينصرفون . اغمض عينيك وحاول ان تتذكر ترتيب خروجهم وأطاع ميرديث ، واغمض عينيه ، وتناول بوارو منديل جيبه ، وراح يلوح به امام وجهه ، وغمغم ميرديث وهو يستنشق الرائحة المنبعثة من المنديل :

– نعم .. نعم .. عجيب أن تتضح الذكريات امام ذهني هكذا ،
اني اتذكر كارولين ، كانت ترتدي ثوبا في لون القهوة الخفيفة ، وكان
فيليب يبدو ملولا ، هكذا كان دائما كلما سمعني اتحدث عن هوايتي
وقال بوارو :

– تذكر الآن ، انكم توشكون على مغادرة المعمل الى المكتبة ، لتقرأ
عليهم الفصل الخاص بموت سقراط ، فمن الذي غادر الغرفة أولا ؟
– الزا وأنا .. نعم .. لقد اجتازت الباب أولا وأنا وراءها ..
كنت اواصل الحديث معها ، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج
الباقيين حتى اغلق الباب بالفتاح .. فيليب .. نعم غادر فيليب
الغرفة بعدنا ، ثم .. انجيلا ، ثم امياس .. وبقيت انتظر خروج
كارولين

– اى انك واثق تماما بأنها كانت آخر من غادر الغرفة ، فهل رأيت
ماذا كانت تفعل بها ؟

– لا .. لقد كنت واقفا وظهرى الى الباب اتحدث الى الزا واثير ،
– ولا شك – الملل فى نفسها بحديثي .. ثم أقبلت كارولين .. مسرعة
واغلقت الباب بالفتاح ..

وتوقف عن الحديث ، وفتح عينيه ، ورأى بوارو وهو يعيد
المنديل الى جيبه ، وتشمم الهواء برهة ، ثم قال لنفسه : « عجا ..
ان الرجل يضع فى منديله عطرا »
ثم قال بصوت مسموع :

– اننى واثق من هذا الترتيب .. الزا أولا .. ثم انا .. ثم
فيليب .. ثم انجيلا .. ثم امياس .. وأخيرا كارولين .. فهل
هذا يوضح شيئا ؟
فقال بوارو :

– نعم ، يوضح كل شيء ، اسمع يا مستر بليك ، اننى سادعو
الباقيين للاجتماع هنا ، فى هذه الغرفة ... فهل لديك اعتراض ؟
– لا ... مطلقا ، ولكن لماذا ؟
– لنعرف الحقيقة كلها !



ثم ذهب الى الزا وسالها :
– أرجو أن تسمحى لى بالقاء سؤال واحد يا ليدى ديتشام :
– اسأل ...

— بعد أن انتهى كل شيء ، بعد المحاكمة وصدور الحكم ، هل
 طلب ميرديث الزواج منك ؟
 فحدقت الزا ديتشام النظر في وجه بوارو ، ثم ارتسمت على
 وجهها امارات السأم والاحتقار ، وقالت :
 — نعم ، طلب أن أتزوج به ... ولكن لماذا تسأل ؟
 — وهل أدهشك هذا الطلب ؟
 — ادهشني ؟ اننى لا اتذكر !
 — بماذا أجبت عليه ؟
 — بماذا تظن انى سأجيب عليه ؟ ايعمل ان أتزوج ، بعد غرامى
 بأمياس ، برجل مثل ميرديث ؟ ان هذا الامر يثير السخرية والضحك ،
 لقد كان أحق في طلبه الزواج بى ، وهو دالما غبى أحق
 وابتسمت في شحوب وقالت :
 — لقد أراد ان يحمنى ويرعانى ، هكذا قال ، ظن ان الراى العام
 كله ضدى ، وانه لم يعد لى مجال للحياة في هذا البلد .. ولكن
 المسكين لم يكن يعرف انى كنت أستمع بما حدث ، ولم يكن يعنى
 رأى الغوغاء عنى !
 وضحكت الزا مرة أخرى عاليا !



وأجابت مس ويليامز على سؤال بوارو بشأن اصابة انجيلا على
 يد اختها قائلة :
 — لمست انجيلا ذات يوم خدها المشوه ، وقالت : « ان كارولين
 هى التى فعلت هذا ، ضربتنى بثقالة ورق وأنا طفلة صغيرة جدا
 ولكن ، لا تشيرى الى هذا الموضوع امامها لانها تضطرب جدا كما
 تذكرته »
 فقال بوارو :
 — ولكنى سمعت ، او عرفت ، اثناء تحرياتي انها ضربتها بقضيب
 حديدى
 — اننى لا اعرف عن هذا شيئا
 — ألم تشر مسز كريل ذات مرة الى هذا الموضوع في احاديثها
 معك ؟
 — كانت تشير اليه بطريقة غير مباشرة ، على اساس اننى اعرف

كل شيء عنه ، واذكر انها قالت لى مرة : « انا اعرف ، انك تظنين اننى افسد انجيلا بتدليلي لها واسرائى فى تلبية رغباتها ، ولكننى اشعر دائما بأننى مهما فعلت لها ، فلن أستطيع أن اعوضها عن تشويهي لوجهها » . وقالت فى مناسبة أخرى : « ليس هناك عذاب أشد من احساس الانسان بأنه السبب المباشر فى اصابة شخص آخر بعاقة مستديمة »

فقال بوارو :

— شكرا يا مس ويليامز ، هذا هو كل ما أردت أن اعرفه !

فقالت مس ويليامز بحدة :

— اننى لا أفهمك يا مسيو بوارو ، ألم تطلع كارلا على تقريرى عن المأساة ؟

— نعم ... اطلعتها

— ومع ذلك مازلت تعتقد أن ...

فقاطعها بوارو قائلا :

— ان الظواهر كثيرا ما تكون خادعة !

— ولكن الحقائق لا يمكن ..

— انك قد ترين باقة من الورد الاحمر العاطر فى غرفة استقبال احد الاغنياء فى شهر يناير ، فتحسبونها ورودا اصطناعية ، بينما هى ، فى الواقع ، حقيقية جىء بها فى الطائرة من جنوب افريقيا !

— ولكن ما دخل هذا اللغو كله فى موضوعنا ؟

— اريد أن أبين لك ان الانسان فى الحقيقة يرى بمعنى عقله !

وانصرف بوارو ، تاركا مس ويليامز أشد ما تكون حيرة ازاء هذه الالغاز !



واستقبلت انجيلا وارين هيركبول بوارو فى مودة وترحاب، وقالت:

— هل استطعت أن تكتشف جديدا فى الموضوع ؟

فأوما بوارو برأسه وقال :

— يمكننى أن أقول اننى فى الطريق الى الحقيقة اخيرا ...

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك اكثر مما فيه من برات اليقين :

— فليب بليك ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

— اننى يا مس وارين لا أريد الآن أن أقول شيئا ، ان الوقت لم
يحن بعد لكشف الحقيقة كلها ، وكل ما أرجوه منك أن تتكرومى
بالخضور الى منزل مستر مرديث فى ضيعة هاندكروس ...
وسيحضر الجميع هناك ..

فقطبت جبينها وقالت :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟ أعتقد أن فى مقدورك إعادة الموقف الى
ما كان عليه منذ ستة عشر عاما ؟

فاوما يراسه وقال :

— ربما استطعت أن أرى الموقف من زاوية أوضح ... هل
ستحضرين ؟

فقلت فورا :

— نعم .. سأحضر ، فمن الطريف أن أرى كل هؤلاء الناس مرة
أخرى بعد كل هذه المدة الطويلة ... وعلى أراهم ، كما قلت ، من
زاوية أوضح

فقال بوارو :

— هل ستحضرين معك الخطاب الذى اطلعتنى عليه ، الخطاب
الذى أرسلته اليك أختك عقب صدور الحكم عليها ؟

فقطبت أنجيلا جبينها وقالت :

— أن هذا الخطاب من خصوصياتى ، وقد اطلعتك عليه لأسباب
أوضحتها لك ، ولكننى لست مستعدة لأن يقرأه أشخاص غريباء لا
يفهمون ولا يقدرّون

— ولكنك سنسمحين لى بتوجيهك فى هذا الموضوع !

— اننى لن أفعل شيئا من هذا القبيل ، ولكننى سأحضر معى
الخطاب على سبيل الاحتياط ، فاذا وجدت ما يدعو الى قراءته، فلن
أمانع !

فبسط بوارو يديه مستسلما وقال :

— اذن اسمحى لى أن ألقى عليك سؤالاً واحداً

— ما هو ؟

– هل كنت تقرئين في أيام المأساة رواية سومرست موم «القمر
وستة بنسات» ؟ (١)
فارتسمت الدهشة البالغة على وجه انجيلا وقالت :
– عجباً ؟ كيف عرفت هذا ؟
فابتسم يوارو وقال :
– أردت أن أبين لك اننى رجل شديد الذكاء ، أستطيع أن أعرف
الاشياء دون أن يخبرنى بها أحد !



(١) ترجمت روايات الهلال هذه الرواية ونشرتها بعنوان « قلب المرأة »

الفصل الخامس عشر

الاجتماع الأخير

كانت اشعة شمس الاصيل تنساب الى غرفة العمل من نافذتها الغربية ، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع !

وكان ميرديث يتحدث الى كارلا في شيء من الاضطراب ، وهو يعث بشاوبه ، ثم اذا هو يتوقف فجأة ويقول :

— أوه ، انك يا عزيزتى تشبهين والدتك في جوانب كثيرة ، ولكنك تختلفين عنها في جوانب أخرى

فقالت له كارلا :

— فيم أشبهها ، وفيم اختلف عنها ؟

فتردد ميرديث برهة قبل أن يقول :

— انك تشبهينها في لون البشرة ، وفي الحركة... ولكنك تخالفينها في أنك أكثر واقعية وادراكا لحقائق الحياة منها

وكان فيليب بليك ينظر مقطب الجبين من النافذة الى المروج الخضراء ، وينقر في ضيق ، وتوتر عصبي على المصراع ، ثم يقول :

— ما معنى هذا كله ، ان الجو اليوم رائع ، وكان ينبغي أن نقضى هذه الفترة في لعب الجولف بدلا من الجلوس في هذه الفبرفة المهجورة

فأسرع بوارو يقول :

— أوه ... اننى آسف يا مستر بليك ، حقا ان الجو اليوم رائع للعب الجولف ، ولكن هذه هي كارلا ، ابنة أعز صديق لك ، واعتقد

تماما انك لا تتردد في تقديم أية مساعدة لها
وعندئذ أقبل الخادم وقال :
- حضرت مس وارين ..
ونفض ميرديث لاستقبالها قائلا :
- جميل منك يامس وارين أن تشرفينا بالحضور ، رغم مشاغلك
الكثيرة فلا شك أن وقتك دائما مشغول بمهام الأمور
وسار معها نحو النافذة
ونفضت كارلا وهي تهتف في سرور :
- هاللو خالتي انجيلا ، قرأت مقالتك في صحيفة التايمز هذا
الصباح ، جميل جدا أن يكون للانسان خالة مشهورة مثلك
ثم أشارت الى شاب طويل ، عريض الفكين ، رمادي العينين ،
هاديء السميت وقالت :
- هذا هو جون راثيرى ، الذى أرجو أن يتم زواجى به
وتتمت انجيلا قائلة :
- أوه ... لم اكن اعرف ...
ومضى ميرديث لاستقبال مس ويليامز التى بدت عند الباب ،
فصافحها في حرارة قائلا :
- أوه مس ويليامز ، لقد انصرفت أعوام عديدة منذ تقابلنا آخر
مرة ...
وتقدمت مس ويليامز بجسمها النحيل الطويل ، وعينيها المكرتين
على بوارو ، ثم اذا هى تلتفت الى الشاب جون راثيرى وتتأمله
وأسرعت انجيلا وارين اليها وقالت لها باسمه وهى تصافحها :
- تصورى يامس ويليامز اننى أشعر الآن كأنى مازلت تلميذة
أمام مدرستها الجبينة الحازمة !
فقال مس ويليامز بصوت يشم عن السرور والحماس :
- اننى جد فخورة بك يا مس وارين ، لقد شرفتنى ورفعت
رأسى عاليا ، اذ حسب الانسان سرورا ورضاء أن يكون له تلميذة
رائعة مثلك
ثم التفتت الى كارلا وأردفت قائلة :

— اعتقد أن هذه كارلا ، آه ... أنها لاتذكرنى طبعاً ، فقد كانت
جد صغيرة

واستدار فيليب بليك وقال متجهما :

— ماهذا كله ؟ ان أحدا لم يخبرنى بأن ...

واسرع هيركيول بواردو قائلا :

— آه ، معذرة يا مستر بليك ، اننى أسمى هذا الاجتماع «رحلة
الى الماضى » ، تفضلوا جميعاً بالجلوس ، وسوف نبدأ الاجتماع
بمجرد وصول العضو الآخر ، الليدى الزا ديتشام ، وعندما تصل
سوف تظهر الارواح !

فقال فيليب :

— ماهذا الهراء يا مسيو بواردو ، هل هى جلسة تحضير ارواح ؟
— لا .. لا .. ليس هذا ما أعنى ، ولكنى أعتقد أن حديثنا عن
الماضى ، وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الاليمة ،
سيؤدى الى استحضار روح امياس كريل ، وروح زوجته كارولين
فى هذه الغرفة دون أن نراهما ، ولكن من المؤكد أننا سنشعر بهما

فهتف فيليب قائلا :

— كلام فارغ !

وتوقف فجأة عن الحديث العنيف حين فتح الخادم الباب وقال:

— ليدى ديتشام

وأقبلت الزا الى الغرفة فى جراحة ووقاحة واستهتار ، واومأت
برأسها فى ابتسامة خفيفة الى ميرديث ، وأرسلت نظرة باردة الى
انجيلاوارين ، ثم الى فيليب ، ثم مضت الى مقعد منفرد عن بقية المقاعد ، بالقرب
من النافذة ، وخلعت معطفها الفراء الثمين ، ثم تلفت برهة فى
جوانب الغرفة ، هذا بينما كانت كارلا تتأمل هذه المرأة التى كانت
السبب المباشر فى وقوع المأساة ... المأساة التى حرمتها من أبيها
ولطخت اسم أمها بالجريمة والعار

ولكن لم يكن فى نظراتها أية امارات للحقد والعداء

وقالت الزا فى برود :

— اننى آسفة اذا كنت قد تأخرت قليلا يا مسيو بواردو

فابتسم بواردو وقال :

— ان مجرد حضورك شرف كبير

واصدرت مس ويليامز من انفها صوتا ينم عن الاحتقار والسخرية، ولكن الزا لم تكثرث بشيء من هذا ، وانما قالت مواجهة الحديث هذه المرة الى انجيلا :

— كدت الا امرفك يا انجيلا ، كم مضى من السنين على .. على .. آخر اقاء ؟ ستة عشر عاما ؟

وانتهز هيركيول بوارو هذه الفرصة وقال :

— نعم ، مضى ستة عشر عاما على هذه الاحداث التى سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل ، واحب اولا ان اوضح لكم السبب فى هذا الاجتماع

وفى كلمات قليلة واضحة ، ذكر لهم المهمة التى كلفته بها كارلا لامرشانت، وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحرى عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ، وصدر فيها الحكم بالادانة

وكان يتحدث بسرعة ، متجاهلا ثورة الغضب التى كانت تتجمع على وجه فيليب ، وامارات الاشمزاز التى نم عليها وجه ميرديث وكانما كان كل منهما يقول له : « ايها الكاذب الملقق .. الخبيث ! »

وكان بوارو قد اختتم حديثه قائلا :

— نعم .. قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة



وكانت كارلا لامرشانت ، ابنة كريل وكارولين ، جالسة فى مقعد وثير ، تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد ... وتتأمل وجوه الاشخاص الخمسة المجتمعين فى الغرفة ، كما سبق ان اجتمعوا مع اييها وامها ، منذ ستة عشر عاما

كانت تتأمل وجوههم وهى تظلل عينيها يديها ، وكانت تتساءل: هل يمكن ان يكون احدهم هو القاتل : الزا المستهتر ، ام فيليب الغاضب ، ام ميرديث الهادىء ، ام مس ويليامز الحازمة ، ام انجيلا الثابتة الرزينة ؟

هل تستطيع هى ، مهما حاولت ، ان تهتدى الى القاتل الحقيقى بين هؤلاء الاشخاص الخمسة الذى شهدوا الماساة ؟

هذا طبعا اذا لم تكن امها هي المذنبه !
لا ، ليس هذا ممكنا بعد ان رأت هؤلاء الاشخاص رأى العين
من المحتمل ان يقتل فيليب بشخصا في ساعة غضب ، ان يخنقه
بيديه

ومن المحتمل ان يهدد ميرديث لصا يقتحم بيته ، بمسدس فارغ
من الرصاص ، او من المحتمل ان يطلقه عليه ، رغما عنه
ومن المحتمل ان تطلق انجيلا مسدسها فعلا في حالة الدفاع عن
النفس ، دون تردد او خوف

ومن المحتمل ان تجلس الزا على هودج شرقي ، ثم تطلب من العبيد
ان يلحقوا بأحد المذنبين الى البحر ، بعد ان يقيدوا يديه وقدميه
أما مس ويليامز ، فانك اذا سألتها : « هل قتلت شخصا ما يامس
ويليامز ؟ » فانها على الأرجح ستجيب عليك قائلة : « التفت
للدروسك ، وحاول أن تحل مسألة الحساب حلا صحيحا ، وحذار
ان تسأل مرة أخرى مثل هذه الاسئلة الشريرة »
وقالت كارلا لنفسها :

« يبدو اننى مخطئة أشد الخطأ ، يبدو انى واهمة .. يجب ان
أطلب من هذا الرجل بوارو ان يتوقف عن الحديث في هذا الموضوع ،
فليس من المعقول ان يكون بين هؤلاء مجرم رهيب »
ولكن بوارو كان قد بدأ الحديث في صميم الموضوع ، وكان
يقول :

— هذه هي المهمة التى كلفت بها ، ان أعود ادراجى عبر السنين ،
لاكتشف حقيقة ما حدث و ...

وقال فيليب بليك :

— ولكننا ، هنا ، نعرف جميعا حقيقة ما حدث ، واذا حاول أحدنا ان
يزعم غير هذا فهو مخطيء .. نعم ، انك تأخذ مالا من هذه الفتاة
بغير مقابل ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، انه نوع من الاحتيال
والغش

وأبى بوارو ان يغضب ، ومن ثم قال :

— انك تقول انكم جميعا تعرفون حقيقة ما حدث ، والواقع انك
تلقى بهذا القول في غير تفكير ، فليس من الضروري ان يكون كل ما قيل

عن حقائق المأساة صادقا تماما ، والدليل على هذا ، يا مستر بليك ،
 أنك ذكرت في تقريرك بوضوح أنك تكره كارولين ، وتحقد عليها ...
 فهل أنت صادق في هذا القول ؟ ان أى مبتدىء في علم النفس يعرف
 ان الحقيقة هي العكس ، وان حقدك عليها تابع من رغبتك فيها ...
 من حبك المادى لها . لقد كنت دائما مفتونا بها ، خاضعا لجاذبيتها ،
 وكنت نائرا على هذا الافتتان وهذا الخضوع، وكثيرا ما بذلت الجهد
 لمقاومة هذه الرغبة العارمة نحوها . وبسبب هذه الرغبة في المقاومة ،
 ظللت توحى لنفسك بأنها امرأة شريرة ، خبيثة ، كثيرة العيوب ،
 متعددة الاخطاء ، جديرة بكراهيتك ، لا بحبك . وكذلك كان الامر مع
 اخيك ميرديث ، ولكن بطريقة مختلفة : كان ميرديث متفانيا في حب
 كارولين ، وقد حاول في تقريره ان يعبر عن هذا الحب بطريقة غير
 مباشرة . . أى عن طريق التنديد باخطاء اميلاس كريل وسوء تصرفاته
 معها ، وقسوته عليها . . ولكن ، اذا نحن أمعنا النظر في تقريره ،
 لادرکنا من بين السطور ، ان حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ،
 ليحل محله حب آخر : حب الفتاة الصغيرة الجميلة الزا ، كان الواضح
 من تقريره ان الزا هي التي كانت تملأ عليه فكره وقلبه

وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ...

وابتسمت الزا ديتشام ...

واستطرد يوارو يقول :

— اننى اذكر هذه الحقائق على سبيل المثال ، وان كانت لهادلالاتها
 عن المأساة ذاتها ... حسنا ، لقد رحلت عبر السنين الى أحداث
 هذه المأساة منذ ان كلفتنى مس كارلا بهذه المهمة ، تحدثت مع مفتش
 البوليس الذى تولى التحقيق ، وتحدثت مع الاشخاص الخمسة الذين
 شهدوا المأساة ، واستلمت تقاريرهم المكتوبة ، اعنى تحدثت اليكم
 واستلمت تقاريركم . وقد استطعت من هذا كله ان ارسم صورة
 واضحة لكارولين ، قبل المأساة ، وبعدها . . وفهمت من هذه
 الصورة ، ان كارولين ، بعد وقوع المأساة كانت مستعدة للموت ،
 مرحبة به ، رغم تكرار القول بأنها بريئة . ولكنها كانت فى رأى
 الجميع ، غير بريئة ؟

فقال فيليب :

— نعم ... هذه هي الحقيقة ، ان جميع القرائن الحاسمة تدل على اذانتها

فهرز بواردو كنفيه وقال :

— ولكننى ، شخصيا ، لست ملزما بقبول قرارات الغير فى هذا الشأن . كان واجبى يحتم على فحص هذه القرائن والادلة بنفسى . كان على ان اختبر هذه الحقائق وافحصها لارضى ضميرى ، ولهذا السبب قمت بتحصيليائى مع مفتش البوليس الذى تولى تحقيق الجريمة ، ومع الاشخاص الخمسة : معكم انتم ، يا من كنتم موجودين اثناء وقوع المأساة . وقد كتبتم مشكورين تقاريركم عنها ، واستطيع ان اقول انى عثرت فى هذه التقارير على ما كنت ابحت عنه ، كنت ابحت عن تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لغرط بساطتها ، ورغم اهميتها ، وهذه التفاصيل البسيطة الهامة هي : اولا : احاديث معينة ، وتصرفات خاصة اعملها رجال البوليس على انها غير ذات أهمية ، وثانيا : آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها ، وأنا اعترف ان المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية ، ثالثا : حقائق معينة اخفيت عمدا عن رجال البوليس

وصمت بواردو برهة ، قبل ان يستطرد قائلا :

— ولكنى الآن فى وضع يتيح لى الحكم فى الموضوع بنفسى .. وأنا لا انكر انه كان هناك الدافع القوى الذى يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها ، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا ، واعترف هو امامها بصراحة انه سيهجرها من اجل امرأة اخرى ، واعترفت هي انها زوجة شديدة الغيرة

واذا انتقلنا من دوافع الجريمة الى الوسائل ، وجدنا انه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوى على سم الكونين فى درج خزانة ملابسها ، وأنه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات اصابع أحد غير بصماتها هي ، ولما سئلت عنها اثناء التحقيق ، اعترفت انها اخذت سم الكونين من هذه الغرفة التى نجلس فيها الآن ... وزجاجة الكونين التى كانت هنا ، كانت عليها أيضا بصمات اصابعها ، اى انها صادقة فى هذا الاعتراف . ولما سالت المستر ميرديث عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك ، قال ان كارولين كانت آخر من غادرها ، وأهم من هذا

انه كان هو موليا طهره اليها ، مشغولا بالحديث مع مس الزا حرير ،
اى انه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل كارولين في
الغرفة قبل خروجها . معنى هذا أن الفرصة كانت سانحة لها لكى
تختلس كمية الكونين ، وأنا ، من هذه الناحية ، مطمئن تماما أنها ،
فعلا ، أخذت كمية من السم ... من هذه الغرفة ...

ومرة أخرى صمت بوارو ، فقال فيليب :

— اليس هذا الدليل وحده يكفي على ادانتها ؟

فابتسم بوارو وقال :

— مهلا يا مستر بليك ، لسوف نتابع الموضوع خطوة خطوة حسب
ما ورد في تقاريركم أتم ... اننى لن أقحم معلومات جديدة ليس لها
أساس في هذه التقارير ...

ثم نظر الى ميرديث وقال :

— من الطريف في هذا الموضوع ، أوفى هذه النقطة بالذات، أن المستر
ميرديث ذكر لى أثناء حديثه عنها ، أنه كان يشم رائحة الياسمين
تنساب من أشجار الياسمين النامية وراء النافذة ، وقد نسى أن
الحادث وقع في شهر سبتمبر ، اى في شهر لا يمكن أن تتفتح فيه
ازهار الياسمين ، ولكن الياسمين الذى شم رائحته في ذلك الحين ، هو
العطر الذى سكبته كارولين من زجاجة حقيبتها لتضع فيها كمية
من سم الكونين ، وإذا دل هذا على شيء ، فانما يدل على أن كارولين
قررت فجأة ، وبعد سماعها من مفعول الكونين الذى يميت بغير
آلام ، أن تختلس كمية منه ، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض .
وقد قمت أمس بتجربة بسيطة في هذا الشأن مع مستر ميرديث ،
فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات ، ثم لوحت أمامه
بمندبل معطر بالياسمين ، فتتابعت الذكريات في ذهنه ، وكلنا يعرف
أثر الروائح في بعث الذكريات من مرقدتها

وعندئذ قال فيليب في شيء من الضيق والضجر .

— ما معنى كل هذه الادلة التى تسوقها لتثبت ان كارولين
اختلفت من هذه الغرفة كمية من السم ... أما يكفي اعترافها ؟

فابتسم بوارو وقال :

— بعض المتهمين يدلون ، لأسباب خاصة ، باعترافات غير صحيحة !

— حسنا ، ولكن جميع الادلة ، مع اعتراف كارولين ، قد اثبتت انها هي ، لا أحد آخر ، التي اختلست كمية السم . . فلماذا كل هذا الاستطراد ؟

ومرة أخرى أبى بوارو أن يفضب ، ثم قال :

— أردت من هذا الاستطراد أن اثبت بالدليل القاطع أن كارولين هي فعلا وقولا التي اختلست السم

فقال فيليب في صوت ينم عن السخرية :

— وبالتالي تثبت ، قولا وفعلا ، انها هي التي ارتكبت الجريمة ، واعتقد أن رجال البوليس كانوا اسبق منك في هذا الشأن

— مهلا بامستر فيليب بليك ، لسوف انتقل الى نقطة أخرى لا يستطيع أحد أن يمارى فيها ، فقد اجتمعت أقوال الشهود على أن الزا جرير صارحت كارولين بعزمها على الزواج من أمياس ، وأن أمياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة ، وأن كارولين كانت في حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف . حسنا . . . كل هذا مفروغ منه . لننتقل الآن الى الاحداث التي وقعت في صباح يوم المأساة . في هذا الصباح وقعت مشادة أو مشاجرة أو شيء من هذا القبيل بين أمياس وزوجته في غرفة المكتبة . . وقد سمعها مستر فيليب بليك ، وهو يمر بالصالة ، وكذلك سمعها الزا جرير ، وهي جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة ، تقول بصريح العبارة لزوجها : « هكذا أنت مع نسائك . لسوف أقتلك في يوم ما » . وقد ذكرت الزا جرير انها سمعت أمياس وهو يطلب من زوجته أن تتعقل وتزن ولا تنهز في تصرفاتها ، فأجابت كارولين عليه بأنها تفضل أن تراه ميتا على أن يتزوج من هذه « الفتاة » . ثم غادر أمياس غرفة المكتبة وطلب من الزا جرير أن تمضي معه الى حديقة البحر ، لكي تجلس معه في الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة ، فطلبت منه أن ينتظر قليلا ريثما تأتي بصديرتها الصوفية لتحتفى بها من برودة هواء البحر

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول مستطردا :

— الى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية في المأساة تبدو طبيعية منسقة من جميع النواحي السيكلوجية . . . فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه . ولكننا سننتقل الآن الى مرحلة بدت

فيها بعض التصرفات غير منطقية ، وغير منتظرة ، ومع ذلك لم يحاول
أحد ، يومذاك ، أن يسأل عن السبب
وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البساطة واللين ، الى
الجد والحزم وهو يقول :

— اكتشف ميرديث بليك سرقة — أو ضياع — كمية من سسم
الكونين من معمله في الصباح ، فاتصل تليفونيا بأخيه فيليب الذي
كان ينزل ضيفا على أمياس وكارولين ، وطلب منه فيليب أن يسرع
بالحضور الى قصر آلدربري ليتبادل معه الحديث في هذا الامر ..
وذهب هو ، أي فيليب لاستقبال أخيه عند ضفة الخليج ، وفيما هما
عائدان الى القصر في الممر ، سمعا كارولين تتناقش مع زوجها أمياس
بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة . فما رأيكم في هذا التصرف ؟ هل هو
يتناسق ويتطابق من الناحية السيكلوجية ؟ هل هو تصرف منطقي
معقول ؟ ألم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في
موضوع بسيط يخص الحاق انجيلا بالمدرسة ، بعد هذه المشاجرة
العنيفة التي سمعت فيها الزوجة وهي تهدد زوجها بالموت ؟ ايمكن
أن يحدث هذا ؟ ايمكن أن تتشاجر زوجة مع زوجها الى حد تهديده
بالموت ، ثم تذهب اليه بعد عشرين دقيقة لكي تتناقش معه في موضوع
الحاق أختها بالمدرسة ؟



والتفت بوارو الى ميرديث وقال له :
— لقد ذكرت في تقريرك أنك سمعت أمياس كريل يقول لزوجته :
« لقد انتهى كل شيء ، ولسوف ترحل » أليس كذلك ؟
فقال ميرديث فوراً :
— نعم ... سمعت هذه العبارة بوضوح
وقال فيليب مؤكداً :
— نعم ... اذكر اني سمعت شيئاً من هذا القبيل ، ونحن نقتررب
من باب حديقة البحر
فقال له بوارو :

— هل أنت متأكد تماما أنك سمعت هذه العبارة أو ما معناها
فقطب فيليب جبينه وقال :

— نعم ... طبعا ، سمعت شيئا عن حزم الحقائق والرحيل
— وكان المتحدث امياس كريل ، وليست كارولين ؟

— بكل تأكيد ... وأذكر أن كارولين قالت له انه شديد القسوة
على الفتاة ، لماذا تلج في هذه الاسئلة .. فقد كنا نعرف أن الموضوع
يتعلق بترحيل انجيلا الى المدرسة
وقال ميرديث :

— نعم ، فان كارولين حين رأتنا ابتسمت ، وقالت انها كانت تتحدث
مع زوجها بخصوص الحاق انجيلا بالمدرسة ، واصراره على ترحيلها في
أقرب فرصة ..
وقال فيليب :

— ولكن ، ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا مسيو بوارو ؟
فابتسم بوارو وقال :

— أن لها أكبر علاقة ، انها الخيط الاول من الضوء الذي هداني
الى الحقيقة .. وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة
ضوءا ، وذلك أن كارولين ، المخلولة ، المهجورة ، الكسيرة الجناح التي
تفكر في الانتحار ، أو تدبر مقتل زوجها ، والتي هددته علانية بالموت ،
كارولين هذه ، تعد زوجها في هدوء ورضاء بأن تأتي اليه بـجاجة بيرة
مثلوجة بعد أن أعرب عن اشمئزازه من البيرة الساخنة الموجودة في
الحديقة فهل مثل هذا التصرف أيضا يطابق قوانين علم النفس
البديهية ؟

فقال فيليب بليك :

— نعم ... انه تصرف معقول ما دامت تدبر مقتل زوجها ، فقد
كانت فرصتها السانحة لتدس له السم في الشراب
فقال بوارو :

— أعتقد هذا ؟ اذا كانت قررت فعلا دس السم لزوجها ، واذا

كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة في الحديقة ؛ فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة أو اثنتين من هذه الزجاجات التي ثبت انها لم تكن تزيد عن ثلاث ؟ وكان هذا في مقدورها دون ان يراها احد ؟
فهر فيليب راسه وقال :

— لا . . . لم يكن في مقدورها ان تفعل هذا خشية ان يشرب شخص آخر من الزجاجة المسممة
فابتسم بوارد وقال :

— شخص آخر ؟ مثل الزا جريبر مثلا ؟ اتريد ان تقول لى ان المرأة التي قررت قتل زوجها ، سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ ؟
وصمت بوارد برهة قبل ان يستطرد قائلا :

— ولكن . . . دعونا من هذه الاحتمالات ولنركز اهتمامنا بالحقائق ، لقد قالت كارولين انها ستبعث الى زوجها بزجاجة بيرة مثلوحة ، ثم صعدت الى القصر ، وتناولت من الثلاث زجاجة بيرة ، وعادت بها اليه ، وصبت منها في الكأس التي كانت موضوعة بجانبه ، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة ، وبدا عليه التأفف وقال : « كل شيء في فمى اليوم مر . . . » ثم عادت كارولين الى القصر بعد ذلك ، وحل موعد طعام الغداء ، وجلست هي مع الضيوف كالعادة لتناول الطعام ، وقد اجتمعت الآراء على انها كانت ثابتة لا يبدو عليها غير شيء يسير جدا من القلق ، ولكن هذا لا يهم ، فهناك قاتلات ثابتات الاعصاب يقتلن القتييل ويمشين في جنازته ، وهناك قاتلات متوترات الاعصاب ، تنم تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن . ولهذا السبب فلن أهتم كثيرا بهذه النقطة . وبعد الغداء ، ذهبت كارولين لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء . وهناك وجدته ميتا . . . ونستطيع ان نقول انها اضطربت ، وانها ارسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب ، وهناسنتقل الى حقيقة لم يسبق أن عرفها احد منكم غير مس ويليامز . . .

ثم التفت الى مس ويليامز ، فلما أومات له براسها ، قال :

— والتقت مس ويليامز، وهى فى طريقها الى التليفون ، بمستر

ميرديث ، فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعادت مسرعة الى كارولين لتبقى بجانبها . فماذا تظنون انها رأت ؟



وخيم الصمت الرهيب على غرفة العمل المهجور ، بينما استطرده بوارو يقول :

- رأت كارولين وهى تزيل بمنديلها آثار بصمات أصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات أصابع زوجها وشحب وجه كارولا ، واتسعت عينا انجيلا وارين ، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ، وقال فيليب :

- ألم أقل ...

ولكن الزا جرير ، او الليدى ديتسام تململت فى مقعدها ، ونظرت الى مس ويليامز فى دهشة بالغة وقالت :

- أرايتها حقا ... تفعل هذا ؟

فقال مس ويليامز فى صوت ينم عن الاحتقار :

- اننى لم اتعود الكذب فى التفاهات ، فكيف اكذب فى الخطير من الامور ؟

ووثب فيليب قائلا :

- ان هذا يضع حدا للأمر كله ، فلا داعى للمزيد من الحديث ، واعتقد يا مسيو بوارو انك لم تفعل أكثر من ان اكذب ادانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالا ...

فنظر بوارو اليه فى هدوء وقال :

- من قال هذا ؟

وقالت انجيلا فى صوت حاد :

- اننى لا اصدق هذا ... أبدا !

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه فى اضطراب ، وظلت مس ويليامز هادئة فى مكانها تقول بثبات :

— هذا ما رأيته بمعنى ، واقسم على ذلك امام الله
وقال بوارو بهدوء :

— ليس لدينا طبعاً اى دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة مس
ويليامز

فنظرت مس ويليامز اليه بشبات ، وقالت :

— نعم ... ولكنى لم اعتد أن توضع كلمتى موضع الشك

فاًوماً بوارو لها براسه وقال :

— وأنا يامس ويليامز لا أشك فيما تقولين ، لقد رايت فعلاً ماحدث ،
ولهذا السبب بالذات ، اى ما قامت به كارولين من ازالة بصمات
أصابعها عن بزجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها ، قررت عن يقين
وتأكيد بأنها لم ترتكب هذه الجريمة ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال
أن تكون هى المذنبة

ولاول مرة ، قال الشاب الطويل جون راتيرى ، خطيب كارلا ، فى
صوت هادىء :

— يهمنى أن أعرف يا مسيو بوارو لماذا تقول هذا ؟

فالتفت بوارو اليه وقال باسماء :

— سوف أخبرك ، ماذا رأت مس ويليامز ؟ رأت كارولين تزيل
فى لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات ، آثار بصمات
أصابعها هى طبعاً ، وآثار أية بصمات أخرى أيضاً ، ثم تطبع عليها
بصمات أصابع زوجها الميت .. وأرجو أن تستوعبوا هذه الحقيقة
الهامة جداً ، وهى انها فعلت هذا بزجاجة البيرة ، أليس كذلك يامس
ويليامز ؟

فاًومات مس ويليامز براسها قائلة :

— نعم ... بزجاجة البيرة

فابتسم بوارو ابتسامة المنتصر وقال :

— هذا مع العلم بأن التحليل الطبى اثبت بصفة قاطعة ان سم
الكونين لم يكن موجوداً بزجاجة البيرة ، وانما وجدت آثاره فى الكأس
الموضوعة بجانبها ، التى كان أمياس يشرب منها .. فما معنى هذا ؟
معناه الواضح ان كارولين لم تكن تعرف الحقيقة ، وانما ظنت فقط

أن الكونين كان موضوعا في زجاجة البيرة ، فهل يستطيع عاقل بعد هذا ان يصدق انها قاتلة زوجها ، رغم انها لم تكن تعرف اين دس السم في شرابه ؟

فقال فيليب بليك دهشا :

— ولكن ... لماذا حاولت ان ...

فقاطعه بواردو بحدة :

— نعم ... لماذا ؟ لماذا ازالتي بصمات اصابعها واصابع غيرها من الزجاجة ، وطبعت عليها بصمات اصابع زوجها ... نعم لماذا ؟ من حق كل انسان ان يسأل، ومن واجبي انا، أنا الباحث عن الحقيقة ، ان أجيب اجابة مقنعة ، لاسبيل الى الشك فيها ، وهذه الاجابة هي : انها كانت تعرف من الذي قتل زوجها ، وانها على استعداد لان تفعل أى شيء ، وان تحتل أى شيء ، حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص وصمت بواردو برهة قبل ان يردف قائلا وهو يشيح بوجهه عن انجيلا وارين :

— ومن السهل علينا ان نعرف من هي الشخصية التي كانت كارولين على استعداد لاحتمال أى شيء من اجلها ، فهل يمكن ان تكون هذه الشخصية الغالية : فيليب بليك أو ميرديث ، أو مس ويليامز ، أو الزا جرير ؟ لا ... لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء اقلى على كارولين من حياتها ... اذن فمن تكون ؟

وصمت بواردو برهة قبل ان يوجه الحديث الى انجيلا وارين قائلا :

— مس وارين ! اذا كنت قد احضرت معك الخطاب الذي ارسلته اليك اختك بعد صدور الحكم ، فأرجو أن تسمح لي بقراءته هنا

فقالت انجيلا بحدة :

— لا ...

— ولكن ... يا مس وارين ان الامر

فوثبت انجيلا قائلة :

— اننى افهم تماما ماذا تعنى ، انك تريد ان تقول اننى انا قاتلة امياس كريل ، اليس كذلك ، انا قاتلة امياس ؟ وقد حاولت اختي ان تحمينى وتستر على . ولكننى انكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة — الخطاب يا مس وارين

- ان هذا الخطاب من شئوني الخاصة ، لقد أرسل لى ، لا لأحد
غيرى

ونظر بوارو الى كارلا وخطيبها الواقفين معا فى شىء من الاضطراب ،
وعندئذ قالت كارلا فى رجاء :

- أرجو منك يا خالتى انجيلا ، أرجو منك ، لماذا لاتسمحين بقراءة
الخطاب ؟

فقالت انجيلا :

- عجبا يا كارلا ؟ كيف تقبلين هذا ؟ انها امك ... ولا يجوز ...

فانساب صوت كارلا واضحا رنانا فى الغرفة :

- نعم ، انها امى ، ولهذا السبب اطلب منك ان يقرأ خطابها هنا ،
فان هذا من حقى

فهزت انجيلا كنفها ، وفى بطء شديد اخرجت من حقيبة يدها
الخطاب وسلمته الى بوارو الذى قرأه بصوت مسموع للجميع ،
وأحست كارلا فجأة بأن شخصا ما دخل الغرفة ، كان ظللا تجمعت ،
وتجسدت .. وان هذه الظلال المجسدة تنصت معها فى لهفة الى
كلمات الخطاب ، وهتفت كارلا لنفسها لاهثة الانفاس : « انها هنا
.. امى كارولين كريل معنا فى هذه الغرفة ! »

وتوقف بوارو عن القراءة بعد ان فرغ من تلاوة الخطاب ، ثم
قال :

- انه خطاب مدهش ، اليس كذلك ؟ خطاب عجيب ، رائع ..
ولكن الذى بلغت النظر فيه هو انه خال تماما من أى ادعاء ببرائتها

فقالت انجيلا :

- لا داعى لان تؤكد لى براءتها ، لانى اعرف انها بريئة ، وهى
ايضا تعرف هذه الحقيقة البديهية ، فلماذا تؤكد لها لى ؟

- نعم يا مس وارين ، كانت كارولين تعرف تماما انها بريئة ،
وانك واثقة من براءتها ، بل انك أكثر الناس ثقة بهذه البراءة ، لقد
كان همها فقط فى هذا الخطاب هو ان تواسيك وتهدىء من أعصابك ،
وتؤكد لك انها ليست آسفة او نادمة او حزينة ، وان عليك ان
تنسى كل شىء ، وتعيشى حياتك فى سعادة ونجاح

— من البدهى أن ترجو اخت لاختها كل سعادة ونجاح في الحياة
 — نعم ، ولكن لا تنسى أنها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها ،
 ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجها اليك أنت دون طفلتها ، أنها
 لم تفكر في طفلتها الا اخيرا ، وهى على فراش الموت ولم تكتب لها
 شيئا أكثر من أنها بريئة ، أما من ناحيتك أنت ، فقد كانت في أشد
 حالات القلق ، كانت تريد أن تؤكد لك أنها ليست آسفة ، وأنها
 ستحمل العبء راضية « لان على الانسان أن يدفع ثمن ما جنت
 يده » كما ذكرت في نص خطابها ، ان هذه العبارة توضح كل شيء
 أنها تبين مدى الآلام النفسية التي تحملتها منذ أن أصابت اختها في
 ساعة غضب وغيرة اصابة سببت لها عاهة مستديمة ، ولكن هاهى
 ذى الاقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن . ولكى تخفف عن
 نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير ، وأنا أستطيع أن أؤكد ان
 كارولين ، بعد أن دفعت هذا الثمن ، أحست بسكينة النفس ،
 وهدوء البال، وراحة الضمير، بل أحست بلون من السعادة الروحية
 لم يسبق لها مثيل في حياتها . لقد كانت تعتقد أنها دفعت ثمن
 الذنب الذى ارتكبته في حق اختها . ولهذا أحتملت اجراءات المحاكمة
 في صبر واستسلام ورضاء . كان الناس يظنون انه استسلام المجرم
 لمصيره ، وأنا أقول ، كما سابين لكم ، انه استسلام الانسان لراحة
 الضمير

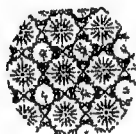


وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— والآن سأذكر لكم تسلسل الاحداث وانطباقها على الحقائق ،
 واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادئ البدهية لعلم
 النفس . . فنبدا أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق
 على المأساة . . تلك هى حادثة المشاجرة الصيانية التى وقعت بين
 انجيلا وأمياس بشأن الالتحاق بالمدرسة . لقد ألت انجيلا على
 أمياس بتقالة ورق ، ودعت عليه دعوات سيئة ، تم انطلقت باكية
 الى غرفتها ، لقد أعاد هذا المنظر ، منظر القاء ثقالة الورق على أمياس،
 الى ذهن كارولين ذكريات الحادث الذى أصابت فيه اختها بثقالة ورق،
 اصابة كادت أن تكون قاتلة ، وقد صاحت انجيلا فى أمياس ، أنها
 تتمنى لو تراه مينا ، وفى ضحى اليوم التالى ، ذهبت كارولين الى

تلاجة القصر لتأخذ منها زجاجة مثلوجة لزوجها ، وهناك وجدت انجيلا واقفة وفي يدها زجاجة ، وعلى وجهها « امارات من ارتكبت ذنبا » ، وهذا هو التعبير الذي ذكرته مس ويليامز في تقريرها ، وكانت مس ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور انجيلا بخطئها في الهرب منها طوال فترة الصباح ، ولكن كارولين تذكرت فيما بعد « امارات الشعور بالذنب » هذه ، وفهمت منها شيئا آخر . . . نعم ، لا تنسوا ان انجيلا اعتادت ان تداعب أمياس ونضع في شرايه أشياء مرة المذاق . . وهكذا أخذت كارولين زجاجة البيرة المثلوجة ، ومضت بها الى زوجها في حديقة البحر ، وسكبت منها في الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه ، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة ، وتأفف من مذاقها قائلا ان كل شيء في فمه مر هذا اليوم ، ولكن كارولين لم تشك في شيء عندئذ . . ولكنها ، بعد ان اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء ، شكت في الامر ، بل ايقنت انه مات مسمما ، ولكنها هي لم ترتكب الجريمة ، فمن اذن الذي ارتكبها ؟ وتذكرت كل شيء في لحظة . . تذكرت رغبة انجيلا في رؤية أمياس ميتا ، تذكرت « امارات الشعور بالذنب » على وجهها وهي واقفة بجانب التلاجة تعبت بالزجاجات ، ولكن ، لماذا فعلت الصبيبة هذا ؟ لاشك انها لم تكن تقصد ان تقتله ، لعلها أرادت فقط أن نفيظه ، ان تجعله يمرض . . أو انها قتلته فعلا من اجلها هي . . من اجل كارولين ؟ مهما يكن السبب ، فقد كادت هي ، وهي في مثل هذه المرحلة من العمر ، ان تقتل اختها ، فلماذا لا تفعل انجيلا هذا ايضا ؟ حسنا ، يجب اذن ان تحمي انجيلا بأى تمن ، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التي دست فيها السم ، فيجب اذن ان تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات . . انها لم تكن تزيل بصماتها هي ، وانما بصمات انجيلا ايضا ، وهو المهم تم ماذا ايضا ؟ يجب ان تجعل كل انسان يعتقد ان أمياس مات منتحرا . . وانها لم تفكر في تلك اللحظة ان الناس من الناحية النفسية ، لن يصدقوا انتحار أمياس ، ان كل همها كان مركزا في انقاذ انجيلا بأى تمن ، وهكذا طبعت بصمات اصابع زوجها على الزجاجة ، وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر ،

وهي ترهف السمع هنا وهناك . واذا نحن نظرننا الى الموضوع
من هذه الزاوية ، أدركنا ان كل شيء بعد ذلك يتفق معه . . . أدركنا
سر استسلام كارولين اثناء المحاكمة مع الاصرار على براءتها ، وسر
قلقها الشديد على انجيلا ، وسر رغبتها في ابعادها فورا عن مسرح
المأساة الى الريف ، ثم سر اصرارها على ابعادها خارج البلاد خوفا
من أن تنهار أعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء



الفصل السادس عشر

الحقيقة العجيبة

واستدارت انجيلا واربن نحو الجميع ، ثم قالت بصوت حاد وعينين متألقتين بالغضب :

— انكم جميعا أغبياء حمقى ، الا تعرفون انى لو كنت المذنبه ، لا عرفت بالحقيقة ولما تركت أختى الحبيبة تتحمل الوزر عنى !

فقال بوارو :

— ولكنك عشت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة التى حملتها كارولين الى امياس !

— انا ؟ ربما ... فانى لا اذكر تماما ، ولكن لا ... لقد تذكرت الآن فقط ... عجباً ، لقد عشت بمحتويات احدى الزجاجات حقاً ، ولكنى لم اضع فيها شئاً ، وانما هذه المادة التى سبق أن وضعتها فى شراب امياس اكثر من مرة ، انها مادة لا تضر ، وأذكر انها تسمى « مصيدة القطط » لأن رائحتها تجذب القطط ، وأذكر الآن حقاً انى ذهبت فى الصباح الى منزل مستر ميرديث وتسلفت الى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة

فقال ميرديث :

— آه ... عندما شعرت كان قطرة تدخل هذه الغرفة ... صباحاً !

فقال بوارو :

— ان الذى جعلك تشمر بوجود قطرة بالذات ، هو تشميك رائحة هذه المادة ، ما اسمها ؟

— فاليريان ...

— نعم ، ان لك حاسة شم قوية ، وقد أوحى لك هذه الرائحة

١٥ احدى القطط هي التي تسلت من فتحة النافذة ، وهي فتحة
ولا شك كانت كافية لدخول طفلة منها ...

فقال انجيلا :

— نعم ... اذكر اني دخلت من فتحة النافذة بعد ان رفعت
المصراع قليلا ، وعدت الى القصر من طريق آخر . وهذا يفسر
« امارات الشعور بالذنب » التي رأتها مس ويليامز واخى كارولين
على وجهى بعد ان اغلقت زجاجة البيرة

وتوقفت انجيلا برهة ثم قالت :

— ولكننى تذكرت الآن شيئا آخر ، شيئا هاما جدا ، تذكرت
اننى لم اجد الفرصة الكافية لأضع المادة فى الزجاجة فى ذلك اليوم ،
لاننى ماكدت أحملها من الثلاجة لأعيب بها حتى أقبلت مس ويليامز
واخى كارولين ، نعم ، اقسم انى لم أعيب فى ذلك اليوم بمحتويات
أية زجاجة !

ثم أردفت بصوت هادئ وهي تنتقل بنظراتها من وجه الى آخر:
— اننى لم أقتل أمياس كريل ، لا عمدا ، ولا نتيجة مداعبة ثقيلة
... ولو انى فعلت هذا لاعترفت بكل شيء

وقالت مس ويليامز :

— طبعاً يا عزيزتى ، لن يتهمك بقتل أمياس الا كل أحق غيبى
ثم نظرت الى بوارو فى تحد وغضب
وابتسم بوارو وقال :

— اننى لست غيبيا ، ولا أحق ، ولهذا لا اتهم انجيلا بارتكاب
هذه الجريمة ، لانى أعرف عن يقين من قتل أمياس كريل ! ...
ثم صمت برهة وأردف قائلا :

— من الخطر دائما أن نقبل بعض التصرفات على أنها حقائق ثابتة غير
قابلة للشك ، بينما هى فى الواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة ، ولأخذ
— مثلا — الموقف فى قصر آلديرى ... انه موقف الصراع الخالد
بين امرأتين من أجل رجل واحد ... ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة
هذه الحقيقة ، حقيقة عزم أمياس كريل على هجر زوجته والزواج
من الزا جريز ، وتلك احدى الحقائق الخادعة التى ليس فيها من
الحقيقة الا اسمها . ولهذا أقول ان أمياس لم يكن عازما ، أبدا ،
على هجر زوجته او الانفصال عنها

وصمت بوارو برهة ، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع ،
قبل أن يستطرد قائلا :

— كان أمياس يجرى وراء النساء ، ويظل مفتونا بالواحدة منهن طالما كانت نزرة الحب العابرة تربط بينهما ، فاذا خسدت هذه النزوة ، نسي كل شيء عن صاحبتة هذه ، ليجث غن غيرها ، وهكذا .. وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات ، النساء اللاتي يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التي تجيش في صدر هذا الفنان . ولهذا لم تكن احداهن تنتظر منه الكثير .. كل واحدة منهن كانت تعرف أن علاقته بها مجرد نزوة طارئة ، لن تلبث حتى تزول ، ولكن الزا كانت تختلف .. لم تكن امرأة ... وإنما كانت اقرب الى طفلة ، كانت فتاة قليلة التجربة ، عديمة الخبرة أو تكاد . وكما شهد الجميع ، كانت مخلصه في حبها لأمياس ، مفتونة به ، متفانية فيه ، واثقة منه . انها قد تكون في نظر الجميع ، جريئة ، مستهترة في بعض تصرفاتها ، صريحة أكثر مما ينبغي ، لايهما أحد ، ولا تتم بغير رغباتها . قد تكون هذه كلها بعض صفاتها ، ولكن المؤكد انها أحبت أمياس حبا عجبيا : حب الانثى لاول رجل ، حب الفنان لفتى الاحلام . وكانت تعتقد بل توقن ، لفرط استغراقها في الحب ، أنه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها ، كانت تؤمن ايمانا عميقا ان هذا الحب ، هو حب الحياة ، وحب العمر كله .. كانت واثقة انه ، دون أن تطلب منه ، سيهجر زوجته من أجلها

ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف حديثه قائلا :

— ولكن ، قد يتساءل أحدكم : لماذا تركها أمياس تعيش في هذا الوهم الكبير ؟ لماذا لم يحاول أن يصارحها بالحقيقة ؟ الاجابة على هذا ، هي : الصورة ! ان هذه الاجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذة ، غير معقولة .. ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين ، ان الفنان الاصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء ، وهكذا كان الحال مع أمياس . كانت اللوحة في نظره هي كل شيء . ونحن نستطيع أن نفهم الآن معنى حديث أمياس كريل مع مستر ميرديث بليك عندما ربت كتفه وقال له ضاحكا : « اطمئن يا صديقي أن كل شيء سينتهي على خير .. » . أرايتم ؟ كان كل شيء في نظر أمياس بسيطا ، سهلا ، ينتهي بالخير .. انه مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات

التي رسمها في حياته ، وانه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن اتمام هذه اللوحة ، اللوحة التي يعتبرها أعظم شيء في حياته وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي بوارو ، وهو يستطرد قائلا :

— لو أن أمياس صارع الزا بحقيقة مشاعره نحوها ، اعنى لو انه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء ، يعيش مع الواحدة منهن اسبوعا او بضعة اسابيع ثم يهجرها ، اذن لثارت عليه ، وابت ان تجعله يتم الصورة .. اللوحة .. العمل الفني الذي كان يراه اهم شيء في حياته يومذاك . ومن المحتمل جدا أنه ، في غمرة حماس حبه لها في اول الامر ، قد حدثها عن الزواج ، وعن هجره لزوجته . وليس هو اول عاشق يخدع حبيبته ، الفتاة ، بالحديث عن الزواج او لعله ترك الزا تعتقد في قرارة نفسها انه يحبها هذا الحب الذي يجعله في النهاية يضحي بزوجته وابنته من اجلها . فماذا يهمه ؟ لتعتقد ماينساء لها الحب ان تعتقد ، ولتظن مايريد لها الهوى من اللظنون ، انه لن يحفل بما تعتقد ، وبما تظن .. وانما هو يحفل بشيء واحد فقط ، الا وهو اتمام اللوحة بأى ثمن . وكان يعزى نفسه في غمرة هذه المحنة ، بان الامر كله لن يحتاج الى أكثر من يومين أو ثلاثة ، ثم ينتهى كل شيء ، على خير ، كما قال الميرديث .. نعم ، ينتهى كل شيء ، في رأيه ، على خير ، حين يصارع الزا بحقيقة مشاعره . حين يقول لها ان كل شيء بينهما قد انتهى . حين يؤكد لها بأنه لا يستطيع ان يهجر زوجته وابنته . وكلنا نعرف انه ، رحمه الله ، كان رجلا مستهترا بعواطف النساء ، ولكن ينبغي الا ننسى انه حذر الزا ، في أول علاقته بها من نفسه ، لقد صارعها بحقيقته وذكر لها أى رجل هو ، ولكنها أبت ان تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد ، واندفعت الى قدرها المقدور بكل عواطفها . اندفعت لتلقى بنفسها بين ذراعى رجل يرى المرأة لعبة بين يديه . واذا انت سألته عن هذا ، لقال لك ضاحكا ان الزا شابة صغيرة ، وانها لن تلبث ان تفيق من صدمة هذا الحب ، لكى تبحث عن حب آخر ، وهكذا . ذلك هو أمياس ، وتلك هى آراؤه عن الحب وعن النساء

وصمت بوارو فترة وجيزة ، قبل ان يردف قائلا :

- ولكن زوجته ، كارولين ، كانت المرأة الوحيدة التى يحبها من صميم قلبه ، ولا يطيق الانفصال عنها الى الابد ، وكان حبه لها يزداد ، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه ، وصبرت على تصرفاته ، وقدرت الدوافع التى تجعله يجرى بين الحين ، الآخر وراء هذه المرأة أو تلك ، ثم يعود اليها نادما مستغفرا ! وكان أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها ، كان يعرف انها ، لاجله ، ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وهذا هو سر ثورته وغضبه على الزا حين أخرجت مركزه بحدبها عن الزواج أمام زوجته . لقد وجد نفسه فجأة فى أصيل اليوم السابق على المناسبة فى موقف لا يحسد عليه ، وجد نفسه بين الزا وزوجته . فهو اذا أغضب الزا وطردهما من القصر ، فانه لا يستطيع أن يتم اللوحة ، ومن ثم تضيق كل جهوده فيها سدى . . . اذن ماذا يفعل ؟ لم يكن أمامه الا انه يعتمد على تسامح زوجته . والا انه يؤلمها مرة أخرى ، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين ، هكذا كان أمياس يفكره وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة

ولكنه ، فى مساء اليوم نفسه ، شعر بالقلق على كارولين ، لا على الزا ، ولعله ذهب الى غرفتها فى المساء ليوضح لها الامر ، فأبت أن تحدثه . . . وأيا كان الامر ، فانه بعد ليلة من القلق والهم ، انفرد بها فى غرفة المكتبة عقب طعام الإفطار ، وصارحها بالحقيقة صارحها بأنه لم يعد يحب الزا ، وأن شعوره نحوها لا يزيد عن شعوره نحو النساء الأخريات ، مجرد نزوة عابرة ، وأنه لن يتردد فى ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحة ، أى بعد يوم أو اثنين على الأكثر . ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة فى نفور وغضب : « هكذا أنت دائما مع نساءك ، لسوف أقتلك يوما » ان هذه العبارة قد وضعت الزا فى مستوى « نساءه » السابقات . ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه ، مشتمزة من تصرفاته ، تعتقد أنه اشتد فى قسوته على الفتاة الغافلة ، ولما رآها فيليب بعد ذلك فى الصلاة ، أعنى كارولين ، وسمعها تقول لنفسها فى ذهول : « يا للقسوة » فانما كانت تعبر عن قسوة أمياس على الزا ، لاعليهاى أما عن كريل ، فقد غادر غرفة المكتبة ، ورأى الزا فى الشرفة مع

فيليب بليك ، فطلب منها - بخشونة - أن تمضى معه الى حديقة البحر لتجلس فى الوضع المطلوب ، حتى يفرغ من اتمام اللوحة ، ولكن الشئ الذى لم يكن يعرفه هو أن الزا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج ، وأنها سمعت وعرفت كل شئ . وان ما كتبته فى تقريرها وما تحدثت به فى شهادتها أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها



ومرة أخرى صمت بواردو برهة ، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلا :

- ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التى أصابتها حين تبينت الحقيقة . . . حقيقة شعور أمياس نحوها . . . وكانت فى اليوم السابق على المساء ، أعنى عند زيارتها مع الجميع لبيت ميرديث بليك ، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة ، بعد أن فرغ هو من محاضراته عن هوايته . وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفا يحادثها وظهره الى باب الغرفة ، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهى تختلس سم الكونين من الزجاج ، وقد اعترفت هى بذلك ، اعترفت أنها رأت كارولين وهى تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين . . . ولكنها لم تقل شيئا لاحد فى تلك الليلة ، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت كارولين ، أو لعلها عرفت ، ولكنها ظنت أن كارولين أخذت هذا السم لتنتحر به ، وأيا كان الامر ، فقد فكرت فى هذا السم وهى جالسة تنصت الى الحقيقة تحت نافذة المكتبة . فلما طلب منها أمياس ، بعد ذلك ، أن تذهب معه الى حديقة البحر ، استأذنت منه قائلة انها ستصعد لتأتى بصديريتها الصوفية لتحتمى بها من برد هواء البحر . وقد صعدت لا لتأتى بالصديرية فحسب ، وانما لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين ، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذى تخفى فيه غيرهن من النساء بعض الاشياء ، وهكذا لم تجد الزا صعوبة فى العثور على زجاجة الكونين فى درج خزانة ملابس كارولين . وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاج ، أخذت الكمية بطريقة « الشفط » فى خزان قلم حبر ، ثم هبطت مسرعة الى أمياس ، وذهبت معه الى حديقة البحر ، وانتهزت أول فرصة ، ووضعت السم

فى كأس البيرة - الساخنة - دون أن يراها ، وشرب هو الكأس
كعادته فى جرعة واحدة

وفى نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجها
على الزا ، فلما رأتها تعود الى القصر لتحضر معطفها الصوفى الاحمر ،
أسرعت الى زوجها فى حديقة البحر ، وراحت تعنفه على قسوته ،
وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة ، وأن يقطع صلته بها تدريجيا
حتى لا يصدمها وهى فى أول عهدا بالحياة ، ولكنه أجاب عليها بعنف ،
يأن « كل شيء قد انتهى .. وأنها لابد أن ترحل فى أسرع وقت » ،
وفى تلك اللحظة سمعا وقع اقدام تقرب ، اقدام فيليب
وميرديث بليك ، فاضطربت كارولين ، وخرجت اليهما تحاول
الابتسام قائلة انها كانت تتناقش مع زوجها فى موضوع الحق أنجيلا
بالمدرسة . وبطبيعة الحال ظن الاخوان ، ولهما العذر ، أن المناقشة
أو المشاجرة ، كانت خاصة بموضوع انجيلا ، وأن قول أمياس عن
انتهاء كل شيء ، والرحيل فى أسرع وقت ، كان يقصد به أنجيلا
لا الزا طبعا . وعندئذ أقبلت الزا وفى يدها المعطف الصوفى الاحمر ،
هادئة ، باسمة ، واستأنفت جلستها فى الوضع المناسب



وصبت بوارو برهة ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يعود الى الحديث
قائلا :

- كانت الزا تعتمد ، ولا شك ، على أن تهمة قتل أمياس سوف
تقع فى النهاية على كاهل كارولين ، وذلك عندما يعثر المسئولون
على زجاجة الكونين فى غرفتها وعليها بصمات أصابعها . والعجيب
أن كارولين ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة
البيرة المثلوجة ، وصبت منها فى كأس زوجها . وجرع هو الكأس
دفعه واحدة كعادته ثم تأفف وقال : « كل شيء فى فى اليوم مر .. »
فما معنى هذا أمعناه الواضح أن شيئا آخر كان مرافقه قبل هذه الكأس ،
وماذا يكون هذا الشيء غير الكأس الاولى التى قدمتها الزا له مسممة
بالكونين ، وقد جعل هذا السم - البطيء المفعول كما قال ميرديث -
لسان أمياس مرا ، وأخذ كل شيء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر بليك فى
تقريره أن أمياس كان يترنح قليلا وهو يعود للعمل بعد عودة الزا
بالمعطف الاحمر ، وظن أنه أسرف فى الشرب ، والتمس له العذر



ثم أشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة العمل واردف قائلا : « انظروا الى هاتين العيين ، وتاملوهما بامعان ... لقد رسم عيني قامة ! » ...

بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح ، فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسرى في جسمه ...

وهكذا جلست الزا في الوضع الخاص على سور الحديقة ، ولكي تجعله لا يشك في الأمر إلا بعد فوات الفرصة ، راحت تثرثر معه في مرج مصطنع عن المستقبل ، وعن شهر العسل في أسبانيا ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوى أن تشاهدها معه ، وقد سمع ميرديث طرفا من هذا الحديث وهو جالس في الهضبة المشرفة على الحديقة .. وقد لوحظ الزا اليه بذراعا ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها

أما أمياس كريل ، الذي كان يكرر الاعتراف بالمرض ، فقد ظل يواصل الرسم بعناد برغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان ، كما قال ، يظن الأمر بوادر روماتزم عضلى .. فلما دق جرس الغداء ، استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهاككا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث أصبح عاجزا عن طلب النجدة .. واعتقد أن الزا في تلك اللحظات ، أسرعت وأفرغت بقية قطرات السم من خزانة قلم الحبر في كأس البيرة ، وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل إلى باب الحديقة لكي يصحبها معه إلى القصر للضداء .. وقد تخلصت من خزان قلم الحبر أثناء سيرها في الممر حيث داست عليه بقدمها .. أما أمياس ، فنحن لا ندرى ماذا كان شعوره في اللحظات الأخيرة : هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت أصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللسمات الأخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة

ثم أشار بوارو إلى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل ، وأردف قائلا :
— انظروا إلى هاتين العينين ، وتأملوهما بامعان .. لسوف ترون أن أمياس رسمهما بصدق غريزي ، رسمهما وهو لا يشعر . رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو ... يموت !

النهاية

فى ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه الزاجرير ، التى أصبحت الليدى دينشام وتململت هى فى مكانها قليلا ، ثم قالت لبوارو :

— دعهم يخرجوا جميعا ...

وطلت فى مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا بوارو الذى تبادل نظرات خاصة مع الاخوين ، فيليب وميرديث بليك وأخيرا قالت :

— انك بارع ... بارع جدا يامسيو بوارو ، أليس كذلك ؟

ولم يجب بوارو ... وعادت هى تقول :

— وماذا تنوى أن تفعل بعد ذلك ؟

— اخبرينى أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعل ؟

فهزت كتفها وقالت :

— اننى لا أدري ، ان حياتى فى الواقع انتهت فى تلك اللحظة التى سمعت فيها الحقيقة من أميلاس وهو يتحدث مع كارولين فى غرفة المكتبة . فى تلك اللحظة ، أحسست كأن شيئا فى أعماق نفسى قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل عواطفى الانسانية أو الحيوانية ، اذا شئت ، الى عاطفة واحدة ... هى الحقد والرغبة فى الانتقام ، وكنت قد رأيت كارولين وهى تأخذ كمية من سم الكونين من هذه الغرفة ، وخطر لى فى أول الامر أنها قررت الانتحار .. ومن ثم لم أشأ أن أقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ أليس من الأفضل لى ، ولا مياس ، ان نتنحى ونفسح لنا الطريق .. هكذا حدثت نفسى ، ولكنى حين سمعته يقول لها فى صباح اليوم التالى ، انه لم يعد يهتم بأمرى فى قليل أو كثير ، وأنه سيطر دنى من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ،

ذكرت فعلا هذا السم .. نذكرته وأنا ألتهب بالحقد عليه .. وعليها
على التي ربت لحالي ، وحزن من أجلى ، واتهمت زوجها بالقوة
على .. ان أسعد لحظة في حياتي ، هي اللحظة التي كنت أراه فيها
وهو يموت تلديجيا . لقد وضعت السم في كأسه الأولى ، تماما كما ذكرت
انت ، ووضعت بقاياها في الكأس التي تبقت فيها قطرات من البيرة المثلوجة
التي حملتها اليه كارولين ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة في جبل
المشقة ، ولكن الشيء الذي لم أنيئه فيما بعد ، هو أنني قتلت نفسي
أيضا بهذه الجريمة التي ارتكبتها ! يقال ان بعض القتلة يعيشون
هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكني لم أكن
من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة أمياس في لحظاته الأخيرة لا تفارق
ذهني ، كنت أعيش وأنا ميتة حية اذا صح هذا التعبير .. ولست
أرجو منك الآن ، الا أن تتركني حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت ،
والجميع ، كل شيء ...

ونهدت كالشبح ، وسارت خارج الغرفة ، ومرت في طريقها
بشباب وفتاة ، بجون رايتري ، وكارلا ... باثنين بدا يشعرا بجمل
الحياة

وفي الصباح ، فوجيء قراء الصحف ، في طول البلاد وعرضها
بنبا انتحار الليدي الزا ديتشام ، وباعتراف شامل ، يحمل توقيعها ،
عن الجريمة التي ارتكبتها ... وقد ختمت اعترافها بقولها :

« لقد غفلت عنى عدالة الارض ، ولكن بعد ستة عشر عاما ، أمسكت
بتلابيبي عدالة السماء .. حقا ان عين الله الساهرة ، لا تغفل ، ولا
تنام »



London of the Alexandria Library (GAL)
Bibliothèque Alexandrine

القصر العالمية للجميع

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

نچون شتاينيك

سومرست موم

مارسيل موزيت

جورج سيمون

بيرل باك

سير والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيغو

يوهان جوتة

ارنست همنغواي

اجاتا كريستي

جيمس هيلتون

الفرسان الثلاثة "مزناين"

الكونت دي مونت كريستو

ذهب مع الريح "مزناين"

رجال ونساء .. وحب

ليلة غرام

كنت هاسوناً

غادة الناطق

جريمة في الريش

الأرض الطيبة

عذراء القيد

ايقانهر "أول فارس للأود"

دافيد كوبر فيلد

أحدثت نوردام

الام قرتة

العجوز والبحر

سوف تشرق الشمس

الكأس الأخيرة

عذالة السماء

القاتل الخفي

الرجل الغاضب

غادة طيبة

عذراء وثلاثة رجال